4 me Année, No. 180

Lundi - 14 - 12 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٨٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ رمضان سنة ١٣٥٥ — ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
٢٠٢١	بين سلطان وسلطان	أحمد حسن الزيات
٢٠٢٣	القلب المكين	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
٢٠٢٥	سالزبورج	سائح متجول
٢٠٢٨	حيهـا	الأستاذ محمد زيادة
٢٠٣٢	وحى المعرفة	الأستاذ اسماعيل مظهر
٢٠٣٤	قصة المكروب	الدكتور أحمد زكى
٢٠٣٨	الفتح الاسلامى	الأستاذ على الطنطاوى
٢٠٤١	كتاب أنساب الأشراف	الدكتور اسرائيل ولفنسون
٢٠٤٣	تاريخ العرب الأدبى	الأستاذ رينولد نيكلسون
٢٠٤٦	مرثية توماس جراى	(ف)
٢٠٤٧	الثقافة والانتاج العلمى فى فلسطين	الأستاذ قدرى حافظ طوقان
٢٠٤٩	كبرياء الألم (قصيدة)	الأستاذ أمجد الطرابلسى
٢٠٥٠	ثورة بدر	محمود حسن اسماعيل
٢٠٥١	الغريب (قصة)	أحمد فتحى موسى
٢٠٥٦	قانون جديد للصحافة فى فرنسا	كارل فون أوسيتسكى أيضاً
٢٠٥٧	نقل الآداب الأوربية إلى الأدب العربى	وفاة لويجى بيراندللو
٢٠٥٧	حول زارا وتحقيق نسبته	
٢٠٥٨	كتاب باب القمر (كتاب)	الأستاذ محمد فريد أبو حديد
٢٠٦٠	سياسة إعداد المخرجين	ناقد الرسالة

عرسه وسريره

بين سلطان وسلطان

يا كافرين بالشعر والأحلام والحب ! أتريدون بعد حادث اليوم معجزة ؟

هذا ملك المغرب ، وامبراطور المشرق ، وإله البحر ، وصاحب العرش المحمول على أعناق الشعوب ، ووارث التاج المتألق على جباه القرون ، وخليفة المجد المحفوف بالجلال الباهر والسؤدد العريق والسنّة المقدسة ، وسليل الدم السّرى الذى يتدفق بالحياة فى هدوء ويجيش بالنشاط فى ثبات ، وربيب البيئة التى تعظم القوانين وتقدس التقاليد وتعبد الامبراطورية ؛ هذا هو ينزل عن العرش ، ويُلقى التاج ، وينبذ اللقب ، ويهجر الوطن ، ويلحق بحبيبته أميرا لا يميزه شعار ، وإنساناً لا تحدوه أبّهة ، وفرداً لا تصحبه حاشية !

يا جاحدين لسلام الروح وراحة القلب ورضى العاطفة ، أتمارون بعد اليوم فى هذه الآية ؟

زعمتُم أن الأرض بُدّلت غير الأرض ، والدنيا أصبحت

غير الدنيا ، فقدّرتم بسعادة الحياة بالوزن والكيل والمساحة ، وقلتم أودى منطق العقل بإلهام القلب ، وأزرتْ مادية العلم بروحية الأدب ، وغلبت أثرة المنفعة على إيثار التضحية ؛ ورحتم تتجهزون بما صنع العلم من صواعق وزلازل وبراكين ، لتنسفوا ما قام من المدنية ، وتقتلوا ما بقي من الإنسانية ، وتقرُّوا في ملكوت الله نظاماً لا يعيش فيه جمل ولا خير ولا حق ؛ فقام أكبر ملك في العالم ، على أظهر مكان في الأرض ، يعلن أن عظمة الملك لا تضمن سعادة النفس ، وسلطان العرش لا يعوض حرية الإرادة ، وجواهر التاج لا تساوي بَسْمةَ الحبيب !

* * *

سبحانك يا بديع الحياة والحي ! ما هذا الذي تضعه في العيون فتسميه سحراً ، وتجريه على الشفاه فتدعوه جاذبية ، وترسله في الأعضاء فيكون رشاقة ؟ ما هذا الذي تودعه هذا الجسم الرقيق الناعم فيقهر سطوة الجبار ، ويُسوّي أخدع المتكبر ، ويعطي إشراف الملك ؟ أهو إعجاز القدرة التي تغلب بالأضعف ؟ أم سر الحكمة التي تمكر بالأقوى ؟ أم روح القدس الذي ينفّذ قانون الحياة في هذا الكوكب ؟

بين سُورة المُلك وأمانة التاج ، وبين فتنة الجمال ومحنة الهوى ، وقف العاهل ادوار الثامن يتحسس في مطاوي الغيب مشيئة القدر : أيعيش في نفسه ولنفسه ، أم يعيش في جنسه وللناس ؟ أيظل رمزاً لأمته يحقق فوق رءوسها كالعَلَم ، ويتغلغل في قلوبها كالايمان ، ويتردد على ألسنتها كالصلاة ، ثم لا يكون له ما للعامل الفقير من وجود مستقل وإرادة مختارة ؛ أم يرتد إلى طبيعة الانسان فيضرب بنفسه في الزحام ، ويبحث عن نصيبه في الرغام ، ويضطلع بعبئه ككل فرد ؟! أيبقى أسير التقاليد التي نسجتها عناكب الماضي البعيد على نوافذ البلاط والبرلمان ، فلا يفكر إلا بإيحاء ، ولا يتحرك إلا بميقات ، ولا يتكلم إلا بمقدار ، ولا يعمل إلا بإشارة ؛ أم يتمرد تمرد الحي المريد ، فيدفع من أمامه ذلك الحاجز الصفيق الثقيل ، ويجذّ من ورائه ذلك الذيل المتيق الطويل ، ثم ينطلق في أجواء الله انطلاق الطائر المرح ، يقع في كل روضة ، ويهبط على كل غدير ، ويملي أليفه فوق عرُوش الورود ، وعلى بُسُط المروج ، وبين أفنان الخمائل ؟؟

كانت هذه الآراء الحائرة تعصف نكباء في رأس الملك ؛ بينما كان في (لندن) الواجبُ المرير الخشن يتمثل في وجه (بلدوين) الحازم الجبار ، ومن خلفه برلمان متحد يؤيد دستوره ، وملكوت واسع يريد امبراطوره ، وشعب مخلص يحب ملكه ؛ وفي (كان) حب عنيف مُلح يشرق في قسمات (مسز سمبسون) الفاتنة ، ومن ورائه إنسان يطلب حريته ، وقلب ينشد سعادته ، وحي يبتغي حظه من الحياة

وهنا يتدخل القدَر الذي يحكم وحده على الملوك ، فيحل عقدة الرواية التي يشهدها العالم كله ، على غير ما يحلها به الروائيون الخياليون ، فينصر تجديد الطبيعة على تقليد العرف ، ويُغلّب سلطان الحب على سلطان الواجب ، ويرفع سرير الأسرة على عرش الأمة !

* * *

يا كافرين بالشعر والأحلام والحب ! أتريدون بعد حادث اليوم معجزة ؟

أيها الناسون ما صنعت حواء بأبيكم آدم ! لا تحسبوا أن الماسونية والجاسوسية والشيوعية والصهيونية والماشية والنازية هي التي تقلب في السر أو في العلن أوضاع المجتمع . فتشوا في زوايا كل أوثمكم عن المرأة ! وإذا كانت مأساة البرنس ادوار تذكرنا بمأساة البطل أنطوان ، فليست كليوبطرة أول النساء ، ولا مسز سمبسون آخرهن ؛ وسيظل هذا الجنس القوي الخفي الغامض سلطان الكون المطلق ؛ فهو محور الطموح والمنافسة ، ومصدر الخير والشر ، ومنبع السرور والألم . ولئن خضع له اليوم ادوار ، فمن قبله خضع نابليون ، ومن قبل نابليون خضع الرشيد وقال فيما حدّث الرواة :

ملك الثلاث الآنسات عنانى ... وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين - أعزُّ من سلطاني

احمد حسن الزيات

٦ ـ القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحبُ القلب المسكين فقام ليخرجَ ، وقد تفارَطتْه الهمومُ وتسابقت إليه فانكسر وتفتّر ؛ وكأنما هو قد فارق صاحبته باكياً وباكيةً من حيث لا يرى بكاءَه غيرُها ولا يرى بكاءَها غيرُه

ورأيته ينظر إلى ما حوله كأنما تَنَشَّى الدنيا لونُ نفسه الحزينة إذ كانت نفسُه ألفت ظلَّها على كل شيء يراه ؛ وجعل يدلف ولا يمشي كأنه مثقلٌ بحمل يحمله على قلبه

إنه ليس أخفَّ وزناً من الدمع ، ولكن النفوس المتألمة لا تحمل أثقل منه ، حتى لينتثرُ على النفس أحياناً وكأنه وكأنها بناءٌ قائم يتهدَّم على جسم . وبعضُ التنهدات — على رقتها وخفتها — قد تشعر بها النفس في بعض همِّها كأنها جبل من الأحزان أخذته الرَّجفةُ فادت به ، فتقلقل ، فهو يتقلَّق ويتهاوَى عليها

آه حين يتغير القلبُ فيتغير كل شيء في رأي العين . لقد كان صاحبنا منذ قليل وكأن كل سرور في الدنيا يقول له : أنا لك ؛ فعاد الآن وما يقول لك أنا لك إلا الهمّ ؛ والتفت هو والظلام والعالم الصامت

جعل يدلُف ولا يمشي كأنه مثقل بحمل يحمله على قلبه . ومتى وقع الطائر من الجو مكسورَ الجناح انقلبت النواميس كلُّها معطلة فيه ، وظهر الجو نفسُه مكسورا في عين الطائر المسكين ، وتنفصل روحُه عن السماء وأنوارها حتى لو غمره النورُ وهو ملقىً في التراب لأحسَّه على التراب وحده لا على جسمه

ثم خرجنا فانتبه صاحبنا مما كان فيه ؛ وبهذه الانتباهة المؤلمة أدرك ما كان فيه على وجه آخر فتعذَّب به عذابين : أما واحدٌ فلأنه كان ولم يَدُمْ ؛ وأما الآخر فلأنه زال ولم يُعدْ . والسرورُ في الحب شيء غير السرور الذي يعرفه الناس ، إذ هو في الأول روحٌ تتضاعف به الروح ؛ فكل ما سرك وانتهى شعرتَ أنه انتهى ؛ ولكن ما ينتهي من سرور العاشق المستهام يشعره أنه مات . فله في نفسه حزن الموت وهمُّ الثكل ؛ وله في نفسه همُّ الثكل وحزن الموت

***

وينظر صاحبُ القلب المسكين فاذا الأنوار قد انطفأت في الحديقة ، وإذا القمر أيضاً كأنما كان فيه مسرح وأخذوا يطفئون أنواره

كان وجهُ القمر في مثل حزن وجهِ العاشق المبتعد عن حبيبته إلى أطراف الدنيا . فكان أبيضَ أصفرَ مكمدا ، تتخايلُ فيه معاني الدموع التي يُمسكها التجلد أن تتساقط

كان في وجه القمر وفي وجه صاحبنا معاً مظهرُ تأثير القدَر المفاجئ بالنكبة

وبدت لنا الحياةُ تحت الظلمة مقفرة خاوية على أطلالها فارغة كفراغ نصف الليل من كل ما كان مُشرقاً في نصف النهار . يا لك من ساحر أيها الحبُّ ! إذ تجعل في ليل العاشق ونهاره ظلاماً وضوءًا ليسا في الأيام والليالي

أما الحديقةُ فلبسها معنى الفراق ؛ وما أسرعَ ما ظهرت كأنما يبست كلها لتوهّا وساعتها ، وأنكرها النسيم فهرب منها فهي ساكتة ؛ وتحوَّلت روحها خشبيَّة جافة ، فلا نضرة فيها على النفس ؛ وبدت أشجارها في الظلام قائمة في سوادها كالنائحات يلطمن ويُولولن ، وتنكر فيها مشهدُ الطبيعة كما يقع دائماً حين تنبتُّ الصلة بين المكان ونفس المكان فيه

ماذا حدث ؟

لا شيء إلا ما حدث في النفس ؛ فقد تغيرت طريقة الفهم ، وكان للحديقة معنى من نفسه فسُلب المعنى ، وكان لها فيض من قلبه فانحبس عنها الفيض ، وبهذا وهذا بدت في السلب والعدم والتنكر ، فلم يبق إبداعٌ في شيء مُبدَع ، ولا جمال في منظر جميل

أكذا يفعل الحب حين يضع في النفس العاشقة معنى مثيلا من معاني الفناء كهذا الفراق ؟

أكذا يترك الروح إذا فقدت شيئاً محبوباً ، تتوهم كأنها ماتت بمقدار هذا الشيء ؟

مسكين أنت أيها القلب العاشق ، مسكين أنت !

***

ومضينا فلنا إلى نديّ نجلس فيه ، وأردتُ معاتبة صاحبنا

المتألم بالحب ، والمتألم بأنه متألم ، فقلت له : ما أراك إلا كأنك تزوجتها وطلقتها فتبعتها نفسُك

قال : آه . من أنا الآن ؟ وما بالُ ذلك الخيال الذي نسَّق لي الدنيا في أجمل أشكالها قد عاد فبعثرها ؟ أتدري أن العالم كان في ثم أخذ مني فأنا الآن فضاء فضاء

قلت : أعرف أن كل حبيب هو العالم الشخصي لمحبه

قال : ولذلك يعيش المحب المهجور ، أو المفارق ، أو المنتظر وكأنه في أيام خلت ؛ وتراه كأنما يجيء إلى الدنيا كل يوم ويرجع

قلت : إن من بعض ما يكون به الجمال جمالاً أنه ظالم قاهر عنيف كالملك يستبدّ ليتحقق من نفاذ أمره ؛ وكأن الجميل لا يتم جماله إلا إذا كان أحيانا غير جميل في المعاملة

قال : ولكن الأمر مع هذه الحبيبة بالخلاف ؛ فهي تطلبني وأتنكبها ، وهي مقبلة لكنها مقبلة على امتناعي ؛ وكأنها طالب يعدو وراء مطلوب يفرّ ، فلا هذا يقف ولا ذلك يدرك

قلت : فان هذه هي الشكلة ، ومتى كانت الحبيبة مثلها ، وكان المحب مثلك ، فقد جاءت العقدة بينهما معقودة من تلقاء نفسها فلا حل لها

قال : كذلك هو ، فهل تعرف في البؤس والهم كبؤس العاشق الذي لا يتدبر كيف يأخذ حبيبته ، ولكن كيف يتركها ؟ ماهي المسافة بيني وبينها ؟ خطوة ، خطوتان ؟ كلا، كلا ؛ بل فضائل وفضائل تملأ الدنيا كلها . إن مسافة ما بين الحلال والحرام متراخية ممتدة ذاهبة إلى غير نهاية . وإذا كان الحب الفاسد لا يقبل من الحبيب إلا (نعم) بلا شرط ولا قيد لأنه فاسد ، فالحب الطاهر يقبل (لا) لأنه طاهر ؛ ثم هو لا يرضى (نعم) إلا بشرطها وقيدها من الأدب والشريعة وكرامة الانسانية في المرأة والرجل

وإذا لم ينته الحب بالاثم والرذيلة ، فقد أثبت أنه حب ؛ وشرفه حينئذ هو سرُّ قوته وعنصرُ دوامه

أتعرف أن بعض عشاق العرب تمنى لو كان جملاً وكانت حبيبته ناقة ...؟ إنه بهذا يودُّ ألاّ يكون بينهما العقلُ والقانونُ وهذا الحرمانُ الذي يسمى الشرف ، وألاّ يكون بينهما إلا قيدُ غريزتها الذي ينحلُّ من تلقاء نفسه في لحظة ما ، وأن يُترك لقوته وتترك هي لضعفها ؛ والقوة والضعف في قانون الطبيعة هما ملك وتمليك واغتصابٌ وتسليم

قلت : وهذا ما يفعله كل عاشق لمثل هذه الراقصة إذا لم يكن فيه إلا الحيوان ، فان بينهما قوةً وضعفاً من نوع آخر ، قمنه الثمن وبها الحاجة ، وهما في قانون الضرورة ملك وتمليك

قال : وهذا مما يقطّع في قلبي ، فلو أن للأمة ديناً وشرفاً لما بقي موضع الزوجة فارغاً من رجل ، وإن هذه وأمثالها إنما ينزلن في تلك المواضع الخالية أولَ ما ينزلن ، فكل بنيّ هي في المعنى دينٌ متروك وشرف مبتذل في الأمة

* * *

قلت : فحدثني عنك ما هذا الوجدُ بها وما هذا الاحتراق فيها ، وأنت قد كنت بين يديها خيالياً محضاً كأنما جمعتها في حواسك فأخذتها وتركتها في وقت معاً . وحواسك هذه لا تزال كما هي بل هي قد زادت حدّة ، فكما صنعت لك من قرب تصنع لك من بُعد

قال : أنا في محضرها أحبها كما رأيت بالقدر الذي تقول هي فيه إنك لا تحبني ، إذ كان بيننا آخر اسمه الخلُق ؛ ولكني في غيابها أفقد هذا الميزان الذي يزن المقدار ويحدده . وإذا كنت لم تعلم كيف يصنع العاشق في غيبة المشوق ، فاعلم أن كبرياءه حينئذ لا ترى بإزائها ما تقاومه فتتخلى عنه وتخذله ، وفضيلته لا تجد ما تستعلنُ فيه فتتوارى وتدعه ، وشخصيته لا تجد ما تبرز له فتختفي وتهمله ؛ فما يكون من كل ذلك إلا أن يظهر المسكين وحده بكل ما فيه من الوهَن والنقص وحدّة الشوق ، وهنا ينتقم الحب مما زوّرت عليه الكبرياء والفضيلة والشخصية فيضرب بحقائقه ضرباتٍ مؤلمةً لا تقوم لها القوة ، ويجعل غياب الحبيب كأنه حضوره مستخفياً لرؤية الحقيقة التي كتمت عنه . وكم من عاشقة متكبرة على من تهواه تصدُّه وتباعده ، وهي في خلوتها ساجدة على أقدام خياله تمرغ وجهها هنا وهنا على هذه القدَم وعلى هذه القدم

ألا إنه لا بد في الحب من تمثيل رواية الامتناع أو الصد أو التهاون أو أي الروايات من مثلها ؛ ولكن ثياب المسرح هي دائماً ثياب استعارة ما دام لابسها في دوره من القصة

* * *

ثم وضع المسكين يده على قلبه وقال : آه . إن هذا القلب يغاضب الحياة كلها متى أراد أن يشعر صاحبه أنه غضبان

مَن مِن الناس لا يعرف أحزانه ، ولكن من منهم الذي يعرف

أسرار أحزانه وحكمتها ؟ أما إنه لو كُشف السر لرأينا الأفراح والأحزان عملاً فى النفس من أعمال تنازع البقاء ؛ فهذا الناموس يعمل فى إيجاد الأصلح والأقوى ، ثم يعمل كذلك لايجاد الأفضل والأرقّ . ومن ثم كانت آلام الحب قويةً قويةً حتى لكأنها فى الرجل والمرأة ، تهيءُ أحد القلبين ليستحق القلب الآخر

آه من هذه اللواعج ! إنها ما تكاد تضطرم حتى ترجع النفس وكأنها موقد يشتعل بالجمر ، وبذلك يُصْهَرُ المعدن الانسانى ويُصنع صنعة جديدة ؛ وإلى أن ينصهر ويتصفى ويُصنع ، ماذا يكون للانسان فى كل شئ من حبيبه ؟

يكون له فى كل شئ روحه الثارى

* * *

قلت : بَخ بَخ[1] . هكذا فليكن الحب . إنها حين تهيج فى نفسك الحنين إليها تعطيك ما هو أجل من جمالها وما هو أبدع من جسمها ، إذ تعطيك أقوى الشعر وأحسن الحكمة .

قال : وأقوى الألم وأشدّ اللوعة . ياعجبا ! كأن الحياة لا تقدم فى عشق المحبوب إلا عشقها هى ، فاذا وقعت الجفوة ، أوحُمَّ البَيْنُ ، أو اعترى اليأس — قدّم الموت نفسه فكل ذلك شبه الموت

إن الحزن الذى يجىء من قبل العدو يجىء معه بقوة تحمله وتتجلد له وتكابر فيه ، ولكن أين ذلك فى حزن مبعثُه الحبيب ؟ ومن أين القوة إذا ضعف القلب ؟

* * *

قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً . فاذا كان غدٌ وانسلخ النهار من الليل ، جئنا إليها فرأيناها فى المسرح ، ولعل الأمر يصير مصدراً آخر . قال : أرجو

ولم يكد ينطق بهذه الرجيَّة حتى مرَّ بنا سبعة رجال يقهقهون ، ثم تلاقينا وجئنا ؛ ويا ويلتنا على المسكين حين علم أنها رحلتْ ؛ لقد أدرك أن الشيطان كان يضحك بسبعة أفواه . . . من قوله : أرجو

ولماذا رحلت ؟ لماذا . . . ؟

وأما هو ؟

(يتبع — لنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) كلمة الاعجاب هنا عند الرضى والمدح ؛ ومثلها (زه) وهذه فارسية

ســـالزبورج

مدينة المطر والموسيقى

بقلم سائح متجول

لم يطل بنا المكث فى ربوع سويسرا الجميلة فغادرنا «تيريخ» (زيوريخ) إلى ألمانيا عن طريق شافهاوزن ، وقصدنا « منشن » (ميونيخ) عاصمة بافاريا عن طريق أوجسبورج واولم ؛ وفى أثناء الزيارة الجمركية عند الحدود الألمانية ، أحصى الموظف المختص ما معنا من صنوف النقد الأجنبي وقيمه وأثبتها بعد الاطلاع عليها فى شهادة خاصة ؛ وهذا إجراء لا بد منه لكى يستطيع السائح أن يخرج من ألمانيا بما يحمل من صنوف النقد الأجنبي ، ووصلنا إلى « منشن » عصراً بعد رحلة ممتعة خلال سهول بافاريا الغنية ، فألفينا المدينة تموج بالوافدين عليها من السياح من مختلف الأقطار ، وألفينا الفنادق غاصة بالزائرين ، وقد رفعت أجورها جميعاً عن الأسعار الرسمية المدونة فى سجل الفنادق الألمانية ؛ وقد كانت دورة الألعاب الأولمبية قد بدأت فى برلين قبل ذلك بأيام ، فلم نرغب فى الذهاب إليها اجتنابا لضجيجها وحياتها الصاخبة ، وآثرنا البقاء فى منشن وبافاريا فلم نجد ما كنا ننشد من الراحة والهدوء

وقد تحدثنا فى فصل سابق عن « منشن » ومناظرها وعن أبهاء البيرة الضخمة التى اشتهرت بها ، فلا نعود إلى ذلك . وإنما نلاحظ هنا فقط أن الفنادق الألمانية لا ترضى بالأسعار الرسمية التى تقيدت بقبولها والتى يعول عليها السائح ، وهى مدونة فى دليل الفنادق الرسمى الذى يقدم اليك ؛ وإن السائح يتكبد فى صرف تحاويل السياحة « رجستر مارك » خسائر لا مبرر لها ، فكل تحويل بخمسين ماركا أو أقل يؤخذ عنه « مارك » ويؤخذ عن المائة مارك ونصف مارك ، وهكذا فاذا ذكرت أنه يؤخذ مثل هذه النسبة أو أكثر عند شراء التحويل ، فان «العمولة» قد تصل بذلك إلى أربعة أو خمسة فى المائة ، هذا والسائح الذى يريد أن يحول ما تبقى لديه من النقد الألمانى بعد انتهاء زيارته يتكبد فى تحويله خسارة لا تقل عن عشرين أو خمسة وعشرين فى المائة ، وهذه نسبة غير معقولة

أضف إلى ذلك أن نفقات المعيشة فى ألمانيا ليست من الرخص كما يقال ، وهذا بالرغم مما وضعته ألمانيا من تسهيل فى مسألة النقد بتقرير «الرجسترمارك» للسياح ؛ وتمنح ألمانيا على سككها الحديدية تخفيضاً قدره ستون فى المائة ، ولكنها تشترط فى مقابل ذلك أن يقيم فى أرضها سبعة أيام كاملة على الأقل ، وهذا شرط مرهق بلاريب ؛ لأن إيطاليا تمنح للاجانب تخفيضاً قدره خمسون فى المائة أو أكثر على سككها الحديدية دون اشتراط الاقامة مطلقاً ، وكل ما هنالك أنك تزور معرضاً فى إحدى المدن الايطالية التى تمر بها وقد لا يستغرق ذلك أكثر من ساعتين

* * *

غادرنا « منشن » بقطار الساعة الثانية مساء إلى مدينة سالزبورج ، فوصلنا إليها بعد رحلة قصيرة وتمت الاجراءات الجركية بسرعة فى الجانب النمسوى من المحطة ؛ ثم جزنا إلى خارج المحطة ، ولشد ما كان سرورنا ودهشتنا إذ التقينا فى فنائها بصديقنا القديم الصحفى النابه الأستاذ محمود أبو الفتح ، فبادلناه تحية حارة ، وتواعدنا على التزاور واللقاء ، ولكن الظروف لم تسمح للأسف بتلاقينا بعد ذلك ؛ وقد علمنا فيما بعد من صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم أنه كان فى نفس الوقت الذى زرنا فيه سالزبورج يقيم فى فندق بقرب فندق «شتات ميران» الذى نزلنا فيه ؛ ومع أننا كنا نجوس خلال المدينة فى كل وقت بالنهار وبالليل ونتشمى جميع المقاهى والمنتديات التى ذكر لنا الصديق أنه كان يغشاها أيضاً ؛ فاننا لم نعرف بوجوده ولم نقع له على خبر أو أثر ؛ ولعله كان يؤثر الاعتكاف والاحتجاب ليستجم كل تفكيره وخياله ثم يطالعنا بكتابه الذى اعتاد أن يخرجه كل موسم ؛ وعلى أى حال فقد كان المطر ينهمر باستمرار فى سالزبورج ، ويحمل ذوى الأمزجة الرقيقة على الاحتجاب والاعتكاف . أما نحن فقد كنا نجد فى هذا الغيث المنهمر الذى اشتهرت به سالزبورج ظاهرة بديعة من ظواهر الطبيعة ، وكنا نستقبله باسمين مرحين رغم أنه كان يغمرنا بالبلل ليل نهار . والواقع أن المطر يغمر هذه المدينة الرشيقة بنوع من الصباحة المنعشة ، كما تغمرها الشمس أيام الصحو بضوئها المنعش ؛ وحينما يسقط المطر تقدم إليك تلك المدينة منظراً بديعاً ، فالظلات تنتشر فوق الرؤوس ، ويرتدى الناس معاطف المطر الجلدية ؛ وترى المطر يقطر من المارة ، ولكن حركة المدينة تبقى على حالها ؛ ومما يلفت النظر بنوع خاص منظر السيدات وهن يرتدين المعاطف الجلدية أو معاطف صنعت من ورق خاص يسيل عليها المطر وتحمى من البلل ؛ وإذ كانت سالزبورج وقتئذ تموج بالوافدين لحضور حفلاتها الموسيقية الشهيرة ، فقد كنا نرى أسراب الحسان يرتدين هذه المعاطف الورقية المختلفة الألوان فوق ثياب السهرة ، وينساب الماء فوق معاطفهن ، كما ينساب السحر من زينتهن وعطرهن ، وهن ضاحكات مرحات لا يزعجهن البلل

وإذا كانت سالزبورج تشتهر بمطرها الذى لا ينقطع حتى فى أشد أيام الصيف ، والذى ينعمرها دائماً بالبلل المنعش ، فانها تشتهر أيضاً بصفة أخرى ، هى أنها مدينة الموسيقى ؛ وشهرتها عالمية تدعو اليها الزائر من أقاصى العالم ؛ ولا غرو فهى مسقط رأس موتسارت ، وفيها نزغ مجده ؛ وما زال المنزل الذى ولد فيه موتسارت قائماً فى سالزبورج ، وفيه الجناح الذى قضى فيه طفولته ؛ وقد حول هذا الجناح اليوم إلى متحف يحج إليه المعجبون بذكرى الموسيقى الكبير ، ويتأملون فيه ذكرياته وآثاره ؛ وإنك لتشعر حين ترى هذا المنزل المتواضع الذى حرص أولو الأمر على استبقائه بشكله القديم ؛ وحين تطوف بغرفه الضيقة ذات الأسقف الخفيضة ، بنوع من التأثر يمازجه الخشوع ؛ ذلك أنك ترى فى كل زاوية من المكان أثراً حياً لذلك الذى بهر العالم وسحره منذ طفولته برائع أنغامه وروائع مقطوعاته ؛ فهنالك مسودات لكثير من قطع موتسارت كتبت بخطه ، وهنالك رسائل كثيرة ، وصور عديدة تمثله فى مناسبات وحفلات مختلفة ؛ وهنالك جمجمة الموسيقى الكبير ذاتها ، لا نجد لوضعها معنى بين هذه القطع والآثار الفنية ؛ ثم هنالك مناظر سحرية تمثل كثيراً من القطع التمثيلية التى وضع موتسارت مقطوعاتها الموسيقية واشترك فى إحيائها مثل « الدون جوان » و « زواج فيجارو » و « المزمار المسحور » و « كوزى فان توتى » و « اختطاف الحريم » وغيرها ؛ وهذه المناظر آية فى الدقة والابداع لأنها تمثل المناظر والأشخاص والألوان بحسمة واضحة ، وتدل على مبلغ ما انتهى إليه المسرح فى عصر موتسارت أعنى فى أواخر القرن الثامن عشر من التقدم ؛ ولفت نظرنا بنوع خاص من بين هذه الذكريات عدة اعلانات مسرحية ترجع إلى سنة ١٧٨٠ و ١٧٨١ ، عن روايات يشترك فى إحيائها موتسارت وقد ذكر فيها أنه يتولى قيادة الموسيقى ، وأن الأثمان عادية أو مخفضة ! ومازلنا نرى هذه الأوضاع ونقرأ هذه العبارات التى كان يتخذها المسرح منذ قرن ونصف للاعلان عن نفسه ،

فيا يصدره اليوم من الاعلانات والبرامج ! وإنك لتكاد تقرأ في هذه الغرف المتواضعة ، وفي هذه الذكريات المؤثرة طرفاً من حياة ذلك الذي لم تغنه عبقريته الرائعة شر الحاجة ؛ ذلك أن موتسارت قد بهر مجتمعات عصره بسمو فنه وافتتانه ، ونهل من منهل المجد ما شاء ، ولكنه لبث طول حياته يتخبط بين غمار الفاقة ، وتوفي مثقلاً بالبأساء والدين

وقد أسبغ تراث موتسارت وذكرياته على سالزبورج شهرة موسيقية عالية ما زالت تحتفظ بها حتى اليوم . ولسالزبورج موسم موسيقي مشهور تقيمه في كل صيف في يوليه وأغسطس ، ويشترك في إحيائه أقطاب الموسيقى العالميون مثل برونو فالتر ، وفيلكس فينجارتنر ، وأرتورو توسكانيني ؛ وتمثل في هذا الموسم عدة من القطع المسرحية الخالدة التي وضع موسيقاها موتسارت وبيتهوفن وشوبرت وغيرهم من أقطاب الفن ، وتنظم حفلات موسيقية رائعة تعرض فيها قطع وأناشيد من وضعهم ، وتقوم بتنفيذها فرقة موسيقية رائعة على رأسها أحد أقطاب العصر ممن ذكرنا ؛ وتقام إلى جانب هذه الحفلات حفلات موسيقية متنوعة ، كلاسيكية أو عصرية أو كنسية ؛ وقد أعدت بلدية سالزبورج لاحياء هذه الحفلات الشهيرة مسرحاً شاسعاً يمتاز بمذاجته وتخامته معاً ؛ وكنا في سالزبورج والموسم على أشده ، والمدينة تموج بالوافدين عليها من سائر الأقطار ، تغص بهم فنادقها ومقاهيها وطرقاتها ، ولم نستطع أن نشهد من هذه الحفلات الرائعة أكثر من حفلين لاستحالة الحصول على التذاكر ولأنه يجب للحصول عليها أن تشترى قبل الموعد بأيام إن لم يكن بأسابيع ، وكان مما شهدنا حفلاً موسيقياً رائعاً برآسة أرتورو توسكانيني ، نظم في ضحى يوم ماطر كثير البلل ، ومع ذلك فلم نتمكن من شهوده إلا بعد جهد جهيد

وتتخذ مدينة سالزبورج وسكانها خلال الموسم استعدادات خاصة لاستقبال آلاف الزوار الوافدين عليها ، وتنظيم ممدات الاقامة ، وتيسير حركة النقل والتنزه ، ويرابط في الطرق المؤدية إلى المسرح كثير من رجال البوليس لتنظيم حركة المرور الهائلة التي تجرى حوله ، وتغص الشوارع المجاورة والمقاهي القريبة بالجماعات الأنيقة وأسراب الحسان من كل جنس وأمة ، وتسمع مختلف اللغات في كل مكان

* * *

وتقع سالزبورج في بسيط ساحر تحيط به الجبال الشاهقة ؛ ومن أشهر بقاعها ونزهها ضاحية «هيلبرون» وقصرها الشهير ، وتقع هيلبرون على مسيرة نصف ساعة من سالزبورج ، ويربطها بها ترام خاص ، يخترق طائفة من الربوع والحلات المزهرة ؛ وقد قصدنا اليها ذات صباح ماطر ، وزرنا قصرها وبساتينها الشهيرة ، ورأينا في قصر هيلبرون مناظر عجيبة لم نرها في أي أثر آخر ؛ ذلك أنه قد نظمت في هذا القصر الغريب مغارات ومجالس جهزت كلها بنوافير من المياه تنبثق من كل نواحيها في أشكال وأوضاع ساحرة ؛ ورتبت هذه النوافير والمنابع الخفية في حديقة القصر حول المماشي والأحراج بنفس البراعة والدقة ، فكنا نتصور حين تطلق المياه من منابعها الخفية أننا أمام سحر ساحر ؛ وفي هذه المغارات والمجالس تماثيل بارزة وصور من الفسيفساء صنعت على مثل صور كنيسة القديس مرقص بالبندقية. وأما القصر ذاته فهو صرح فخم من صروح القرن السابع عشر ، وقد زينت غرفه وأبهاؤه بطائفة من الصور الثمينة ومجموعات من الأثاث القديم الذي يرجع الى عصر إنشائه ، وزينت سقفه بالأخص بصور ونقوش بديعة تأخذ الألباب بدقتها وروعتها . وقد فهمنا من دليل القصر ، أن الذي أنشأ هذا الصرح الفخم أسقف سالزبورج في ذلك العصر ، وأنه هو الذي أشرف على زخرفته وتنسيقه على هذا النحو المدهش ؛ ويقع القصر وسط بستان شاسع نظمت في إحدى جوانبه حظيرة ترتع الغزلان في جنباتها ، ويؤمها زوار القصر للتفرج وملاعبة الغزلان

وعلى الجملة فأن هذه المدينة الصغيرة — لأن سالزبورج مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها أربعون ألفاً — تبدو بفنادقها الأنيقة ، وطرقها وميادينها المنسقة في ثوب خاص من الحسن والرشاقة ، ينم عن حسن ذوق أهلها وسلطاتها البلدية ، ويزيد في سحر سالزبورج وشاع الاقامة فيها ، فضلاً عن روحها الموسيقي ، ما فطر عليه أهلها من الأدب الجم والشمائل الرقيقة . وهذه في الغالب أخلاق أهل المدن السياحية ؛ بيد أنك تشعر في سالزبورج أن هذه الخلال الحسنة ترجع الى الفطرة أكثر منها الى مقتضيات المعاملة ، وتشعر أنها بعيدة عن الرياء المصول الذي تأنسه في المجتمعات السياحية الأخرى

وغادرنا سالزبورج لأيام قلائل ، وقد ترك بللها المنعش ، وموسيقاها الساحرة ، وذكرياتها السريعة المتعة في النفس أجمل الأثر

(***)

حبهـــا ...

للأستاذ السيد محمد زيادة

عرفتها شاعرة فى عينيها الشعر ؛ وكأنما خلقها الله بهاتين العينين ليودع فيهما من أسرار الغيب ، ويصور بهما من معانى الخلود معنى الفن . . . فجاءتا هكذا ساحرتين لا يُفهم من أى نوع سحرُهما ، ولا يُدرك إلى أى حد تأثيرهما ؛ وغاية ما يفهم أو يدرك منهما أنهما حين تلمحان تجرحان ، وحيث تنظران تأسران . . .

ويبدو فمها كأنه جرة صغيرة . . .

ويُرى خداها كأن على كل منهما وردة فى لهب . . .

وعرفتها فى كل هذا وبكل هذا . . . عرفتها فى قصة حب أولها معروف وآخرها مجهول

كانت تغنى ، ووقع بصرى عليها لأول مرة فلا أدرى ما الذى نزل منها على نفسى فجال فيها ثم استقرّ فيها فما ذهب عنها وما هو ذاهب أبداً !! إلا أننى أذكر ... أذكر جيداً أنها كانت ترسل الأغانى من فمها ومن عينيها ، وأننى كنت أسمع الأغانى بأذنى وبقلبى

ولله ما أحلاها وقد بدت فى ثوبها الأسود الهفاف ، فلا يظهر منها إلا وجه كأنه حلم بالوصل فى منام عاشق محروم ، ويدان كأنهما زهرتان غضتان أسفرتا من جنة محجوبة

وقد أبى صدرها إلا أن يتيه ويشمخ ، وعز عليه أن يحد الرداء من كبريائه فنهض يتحرر ، وبدا كأن بينه وبين الرداء معركة . . .

وظهر جيدها فوق صدرها كشعاع الصبح يشرق من أعلى جبل . . .

ونظرتُ اليها فرأيتها كلها فناً منفرداً فى كل جزء منه فن منفرد ؛ ثم نظرت إليها فرأيتها نوراً تنشعب منه أنوار ، ثم هممتُ أنظر إليها فربع البصر وردّت النظرة إلى الفؤاد سهماً

ثم تنفشت كالبلبل المتندى ، ثم نظرتْ إلى الحشد ثلاث نظرات وقمت إحداها علىّ فلتُ أتحاشاها ؛ ولكنها سبقت إلى القلب فاذا القلب عاصفة فى وسط عاصفة ؛ ثم راحت تغنى فأرسلت من بين شفتيها صوتاً فيه شذىً جعلنى أعتقد أن للورد تغريداً وأن هذا هو تغريد الورد ، وأعتقد أن سرباً من البلابل لو اجتمع على أن يأتى بمثل سحرها لما أتى إلا بما يثبت أنها ساحرة معجزة

* * *

وأحسستُ أنها كلما زادت فى غنائها آهة أو لفظة ربطت بين روحى وبينها آصرة ، وأنها كلما أصابتنى بنظرة مدت بين قلبى وبينها جسراً ... ثم أحسست أنها قربت منى حتى صارت جزءاً منى فيه روحى وقلبى وعقلى ؛ ولكنى بعد ذلك لم أحسب إلا أننى خبلت ، ولم أدرك أن هذا هو حبها يدخل من عينىّ ومن أذنى ...

وانتهيتُ من ساعتها تملأ لأتم ليلتها أرقاً وبى من الجنون مس فى القلب يكاد يبلغ إلى مس فى العقل ... هو الحب ... هو الحب الوليد الجبار وُلد ثم أيفع وشب شبابه فى ساعة ...

هو الحب خلق فى عينيها ليعيش فى قلبى . . .

هو الحب جاء يعلن أنه الحب بعذابه وسهره ، وأنه سيكون عقدة بعد عقدة ، ثم لا يكون إلا عقدة بعد عقدة . . .

هو سهمها جاء قاسياً ليقتل ثم اشتدت قسوته فلم يقتل ؛ وإنما جرح وأدمى ليظل الجرح جرحاً ويظل الألم ألماً ... ياليته قتل ...

* * *

ومرّ عام فى ليلة ، وآه منها ليلة قاسية وسمت كل دقيقة من دقائقها هاجساً من هواجسى فبتُّ أصبو بصبوة قلبى ، ثم أحار بنزاع عقلى ، ثم أغنى بعين أحلامى ، وأقطع مدى الليل بين الصبوة فى جهلها وغرورها ، والحيرة فى شدتها وعسرها ، والأحلام فى جلوتها وروائها ؛ وما أستطيع أن أخرج من هذا كله إلا باليأس منها حبيبة محبة ولو بعد حين . . .

ما كان لى أن أحبها وهى ذات جاه ، ولها سلطان وحاشية ، ويسعى إلى مجلسها من علية القوم فتية يبتغون الأنس والسمر ، وهى تدلّ عليهم دلال حسنها ودلال عفتها ، ثم تتدلى اليهم زهرة محصنة يُستَنشى أرجُها ولا تُقطف ولا تمس

وما كان سهلاً على أن أيأس من حبها فى أول حبها ما دامت فى باطنى عين لا تنظر إلا إلى أعلى فلا تبصر إلا ما هو أعلى ، ولا مستحيل عندها ولا صعب . ما كان سهلاً علىّ أن أيأس

من حبها وعين خيالي كالنظار تقرّب لعينيّ رأسي بعيدها وتهوّن مسافتها

* * *

وطلع الفجر يتثاقل كأنه لا يريد أن يطلع ... طلع وأنا بين شيطانين شيطانها الفاتن وشيطاني المفتون، كلاهما يدعوني اليها بينما أتخوفها على نفسي ولا أبتغي اليها الوسيلة؛ فمثل هذه التي أُلفتْ تهافت العشاق، وتغنّتْ بآلام المدنفين، لا يقع في قلبها الحب إلا بمعجزة ...

ومضى الليل إلا قليلا وأنا في أمري كما أنا، آخذ بقلبي وأرد بعقلي؛ ولبثتُ يتقاذفني تحذير اليأس وإغراء الأمل حتى يئست ونمت

ورأيت في الرؤيا أني أزورها وأنها ترحب بي؛ وما أحسب إلا أن لقاءنا كان في فردوس، فقد رأيتها ترفل في الخز وحول قامتها قوس من نور يتهادى على أفق من شفق، وتحت قدميها ورد منثور كأنه طبقة من الأرض، وهي تتخفف في خطوها كأنها تسير على الماء

وسرتُ اليها أترفق بالورد، ورأتني أحييها بتحية قلبي فتبسّمتْ فتبسم في ثغرها الأمل، ثم تأودت فكأنها بانة عطفتها نسمة، ثم قالت: تعال ...

ثم ... ثم قالت: أهلاً ... تعال ...

ووثب قلبي اليها ووثبت أدركه بين يديها فصحوت ...

* * *

وما تم الليل بانفلاق صبحه حتى تم في قلبي الحب بانتصار أمله على يأسه، فشعرت بها تغني في قلبي، وتتجلى في عقلي، وتميس في خيالي؛ ثم شعرت بها توحي إليّ وحي فتنتها لتؤدي به رسالة الجمال إلى الفن، وتثبت فيه ارتباط الفن بالجمال

وعشتُ أستوحيها حيناً من الدهر طال ما طال ولم يكن فيه إلا اكتفائي من حبها بالوحي: أتنسّم حنان صوتها، وأتفيأ ظلال مفاتنها، وأعيش في جوها وأناجيها وأستلهمها ... كل هذا وأنا بعيد أتباعد لأن قلبي جعل لها سلطاناً عليه وتهيّبها وبذلك سد عليّ منافذي إليها

ولكن الحب أقوى وأشد ... فما زال بي حتى طغى عليّ فرحتُ أطلب زيارتها؛ وهي كانت تعرف وحيها في كلامي ولا تعرفني، فعرّفتُ نفسي إليها بكتاب، ثم ذهبت أزورها في موعد حددته ...

وكان موعدها في ضحوة النهار من يوم مخلد؛ قمت ليله أتطير بالشوق بين الفرح والرهبة، ولا يتحول بصري عن الساعة في يدي وهي تبطئ كأنها نائمة؛ وكلما غبرتْ من الليل، فترة ودعتها من الفؤاد زفرة، حتى أحسست في نهاية الليل أن دمي قد احترق بنيران فكري، وأنني لم يبق مني إلا هيكل كل ما فيه أنه هيكل

وجاء الموعد الذي كنت أحسبني لن أبلغه ... جاء الموقف الذي كان وراء العقل ... جاءت الساعة، ولقيتها ... ولقيتها وأنا حي!!

ما ذا كنت في تلك اللحظة؟ ... إني كنت ركاماً وكنت زلزالاً وكنت ريحاً عاصفاً ...

وجلست هكذا في قاعة الاستقبال بدارها، ورأيت الأثاث فيها كأنه يهتز لينقلب على رأسي

أكان هذا حباً؟ ... أكان هذا شوقاً؟ ... لا والله إنه كان هذياناً، ثم ظهرت فيه حكمة الحب عند ما لاحت الفتانة بالباب تتقدم إليّ؛ وحكمة الحب لا تظهر إلا حين يريد هو أن تظهر ...

* * *

جاءت تتيه في مشيتها كأنها سكرى، وكأن خطواتها همسات قلبٍ متيم الى صاحبه، وكانت قد بارحتْ فراشها من لحظة، فدخلتْ عليّ صاحيةً بكل جسمها إلا عينيها، فقد كانتا ذابلتين كأنهما ما تزالان في نعاسهما

أما وجهها فكان بمسحة النوم عليه كأنه الفجر مائلاً بسناه يقبل باقة من الورد ...

أما شعرها فكان ثائراً ثائراً كأنه ليل عاشق مؤرّق، وكأنها استيقظت وما يزال رأسها نائماً في ليله ...

أما قوامها فكان سكباً من البان في سكب من الحرير ...

أما هي — أما هي فكانت سحراً يمشي ويتبختر، وكانت حسناً متكبراً يتواضع ...

وجاءت تلوح لعيني متصوفة سكرى وقالت: أهلا بمن سبقه الينا شيطانه!!

ثم صافحتني بيد أنضر من الزهر، واتخذتْ مجلسها، ثم نظرتْ إليّ تتأملني فقلت: وكيف عرفت شيطاني؟ ...

قالت : أما شعر لى وتغنى بى وكتب عنى ؟ . . .

قلت : يا له حظاً سعيداً . . . ما كنت أحسب شيطانى موفقاً هذا التوفيق ! ! أوَ تقرأين ما يكتب ؟ !

قالت : بلى . . . وما أحبَّ شياطين الشعراء الى نفوسنا نحن المغنيات . إن للمغنية فى كل شاعر تستميله مرآة ترى فيها نفسها ؛ والشاعر والمغنية كلاهما تمام الآخر فيما خلقا له

فتنهدتُ وقلت . إنك الآن توقدين رأسى

قالت : وكيف ذلك ؟

ثم انبسطت على شفتيها ابتسامة صغيرة بان فيها أنها داهية تمكر ؛ إلا أن مكرها فى ابتسامتها كان مكراً أحمر ملتهباً فى فتنة حمراء ملهبة ؛ فنظرت اليها أستزيده ثم قلت : كلامك هذا فيه نار أشعر بأجيجها فى رأسى

فقالت وهى تمكر مكرا أشد وأحلى : إذن لا يعجبك كلامى

قلت : كلا كلا . . . وهل يُخرج مثل هذا الفم إلا ما يُحب ؟ إن النار التى فى كلامك نار لذيذة كنار الحب فى قلب المحب . لقد قلتِ إن الشاعر والمغنية كلاهما تمام الآخر ، فهل بعد هذا من سحر على لسان ؟ وهل بعد هذا من نار محبوبة فى كلام ؟ . إنك توقدين رأسى بهذه النار من هذا السحر فى هذا المعنى . . . إنك لو اطلعت الآن على أحشائى لعلمت أن الحسن يجنى ولا يشفق فى جنايته

فخفرتْ وكسرتْ فى عينيها لمحة وتهدل شعرها على وجهها ليستر روعة الخفر ، ثم فتحتْ بيديها بين ذوائبها منفذاً لقولها وقالت : هذا كلام شيطانك

قلت : بل هذا كلام قلبى . . .

فرفعت بقية شعرها عن وجهها بيديها ورشقتنى بنظرة داوية سمعت لها رعداً فى صدرى وقالت : أنت إذن . .

ووقف لسانها ببقية الكلمة ، وقالت لى عيناها بنظرة أخرى حنون : أعمها . .

فقلت : أنا إذن . . أحب . .

فأطرقت خجلات وجهها بين شعرها ثم هزت رأسها تنفض الشعر فرأيت وجهاً جديداً مشرقاً فى معنى الحب

يا عجباً ! ! يا عجبا ! إن كلمة الحب تسمعها غادة جميلة من محب هائم تجعل فى محياها المشرق قسمات جديدة

وتضع الحياء على جبينها قطرات كأنها قطرات الندى على أوراق وردة بيضاء ، فسحتُها عندبلها وشخصتُ إلىّ فقالت : وجهك الآن مؤمن . . .

قالت : وهل كان من قبل كافرا ؟ وكيف يكون إيمان الوجوه وكفرها ؟

قلت : الوجوه تؤمن وتكفر إيمان القلوب وكفرها ! وقد رأيت وجهك الآن مؤمناً إيمان قلبك . . لكأنه كان يقول لى : إنى شاعر بك وشاعر بما بك ، لأنى أفهم حبك فهو وحى جالى اليك ، وأعذر قلبك لأنه صيد عينى منك . . .

أما سمعت وجهك يقول هذا ؟

فضحكت وقالت : وجهى لم يقل شيئاً ، وأنا لم أسمع منه شيئاً . . كيف يتكلم الوجه إلا بالفم ؟ . . ولكن فى لم يقل هذا فمن أين جئت به ؟.

وضحكت ضحكة أخرى وهى تنتظر جوابى فقلت : لا يتكلم من الوجوه إلا الوجه الجذاب ، فتكون فى كل لمحة من لمحات عينيه عبارة ، وفى كل وقدة من وقدات وجنتيه همسة ، وفى كل ومضة من ومضات جبينه إشارة

أما رأيتنى أصغى إلى كلام وجهك بشغف ؟.

فضحكت مرة ثالثة ثم سكنت وجهها كأنها تتذكر ، ثم قالت : لا . . . لم أر . . ولم أعقل ما تقول . .

قلت : آه ! ! ها هو ذا وجهك عاد يستهتر بإيمانه . . . ها هو ذا يُدل ويتجنى

وسكتت هى تداعب يداً بيد وطرفها يختلس ما يختلس ، وسكت أنا ألتهمها بعينى فى سكونها الساحر المترنم . . ثم فاجأتنى بطرفها ينظر إلى كل أجزائى بكل ألحاظه وقالت : إنك لتنظر إلى بعين الشاعر المليئة بالحب فترى فى كل شىء منى شيئين متناقضين .

قلت : وأنظر إليك بهذه العين من ناحية القلب فأراك نشوة للقلب تأخذه بقوتها ؛ وأنظر إليك من ناحية العقل فأرى فيك غذاء للعقل ما أحوج العقل إليه ! . ثم أنظر إليك بالعين المجردة من الشعر والحب فأراك فى أقل درجاتك جميلة عزيزة الجمال

فرأيتها كأنها تنظر إلى من خلال منظار لتتبين فى كلامى حقيقة . . ثم كأنها تقتنع . . ثم رأيتها تفكر . فحدقت فيها ملياً ثم قلت : أنت شاعرة . .

قالت وهي تمسك وراء شفتيها ابتسامة : وعلى هذا تكون أنت مغنياً ..

فانتفضت في مكاني وقلت : إذن أنت تعتقدين أنني جزء منك يكملك في أي أحوالك — إذن قد تحقق الحلم يا آنستي

فتأجج خداها وأطرقت ، وعجز قلبي عن مقاومة ما فيه منها ، وحسبتُ أنه قضى

* * *

ثم إنا تفرقنا عاماً لا نملك أن نلتقي ، وكان هذا العام مثار الوحي ومجال القلم

ثم تلاقينا في قصر جميل شيد على جناح النيل بين الخضرة والماء

وجلست في بهو القصر أضم جوانحي على الأشواق والهموم ، وينبعث دخان التبغ من فمي مختلطاً بدخان كبدي المحترقة

ومضت أفكاري تصور لي ما سيكون في لقاء ساعة بعد فراق سنة ... وإني لمضطرب أجرّ نفسي جراً بين أول دقيقة الانتظار وآخرها ، إذ سمعت على الدرج المرمري وقع حذاء الحسناء تتوثب في نزولها كالظبية تتنقل في واديها بين الربى والسهول

وتلفتُّ فإذا هي مقبلة تتهادى في وشاح فضفاض من حسنها ، وأمامها في الهواء نهدان خلقاً ليسبقاها أينما مشت

وكان وجهها يتلألأ بين ضوء الجبين ووهج الوجنتين حتى حسبته قمراً كحلت عيناه في ليلة التمام

ووقفت يفصل بيني وبينها بعد خطوتين ، وفي عينيها نظرة عتاب كأنها طعنة خنجر ، ووقفتُ أنا وفي عينيّ نظرة اعتذار كأنها دمعة قلب ... والتقت النظرة بالنظرة فإذا هما في الهواء قطعة من (المغنيزيوم) تشتعل ، وإذا هما في كبدي شعلة من الوجد تضطرم

ثم تقدمت الحسناء وقالت : أهلاً بذاكرنا أهلاً بناسينا

فقلت : وكيف أنساكِ وأنا ناس بك كل ما عداك ؟ ..

قالت : ما رأيتُ من تذكرك إلا ما قرأتُ من رسائلك ؛ فهل كل ما عندك أن ترسل الرسائل ؟ ! كأني بك لا تحب إلا أن تتخيل لتعيش في خيالك

قلت : وكثيراً ما أهرب من لقاء الحقيقة لأظل مفتوناً بالخيال ناعماً بمتعته ؛ ولولا أنك فوق تصوره لما بحثت عنك إلا في خيالي بين أحلامي وأوهامي

قالت : أنت إنسان عجيب . . .

وبدا محياها كأنه مبلول بالخمر ، وعربد قلبي كأنه سكير ، وسمتنا ؛ ثم تنفستُ وقلت : ويحي ... ويحي ... إنك حقاً فوق تصوري وبعد خيالي ، فإني لأحس الآن أن كل قطرة من دمي تناجيك وتسبّح لك ، وأحسب أن الله تعالى قد خلقك خلقة ممتازة

فضحكتْ ضروباً ، وانعطفتْ في ناحية الكبرياء من جمالها وقالت : هكذا أنتم أيها الشعراء كثيراً ما تكفرون ...

قلت : آه لو كنتِ رجلاً مثلي وعشقت فتاة مثلك ! ! إذن لصدّقتِ أنك من خلقة ممتازة

قالت : أما يزال شيطانك يكفر ؟ . . إنكم أيها الشعراء لقادرون ؛ . إنكم تستطيعون أن تصنعوا من القبيح جمالاً ، ومن الجمال فنّ جمال ، ومن فن الجمال عالماً من الفنون . فكم تصوّرون من مشاهد الكون وتبالغون في التصوير فيظن الناس أن الطبيعة هي التي أبدعتْ ما صنعتْ فتقلتم عنها حقائق

ثم سكتت ثم قالت : هأنت تقول عني ما ليس فيّ فأكاد أصدق أن فيّ ما تقول ...

فقلت : مهِ مه ... يا فاتنة ... إنك تتكبرين في تواضع ، وتتواضعين في تكبر ؛ والله ما رأيت مثلك غادة جميلة تنكر أنها جميلة ... ألا إن هذا وحده يقوم دليلاً على أنك مطمئنة إلى نبوغ جمالك وعبقريته

فرمقتني بنظرة تائهة في فرح عينيها وقالت : إنك تغزوني ...

قلت : أرأيت القاتل يقتل ويتهم المقتول ؟ ... هذه أنت تتهمينني بأنني أغزوك وأنت فاتحة قلبي

قالت : لسانك وقلمك قد تآمرا عليّ ...

وحزن جمالها فصوّر في حزنه أجل معاني الحزن ، وترقرقت عيناي إلا أنني أمسكتُ العبرة بين أجفاني فتمنّى بها بعدي لحظة ... ولما نظرت بعد ذلك رأيتها معلقة تشد منديلها بين يديها وكأنها تغالب في باطنها قوة تمردت عليها ... وكأن وجهها يفكر ، وكأن لحظها يحلم ...

قلت : إنك تخبئين شيئاً وتريد الشيء أن يظهر

فرنتْ إليّ بطرفها مبلّلاً بالحنين ، فانطبقتْ أجفاني

تنهد ، ودارت بي الأرض دورة ... ثم فتحتُ عينيّ فرأيت منديلها يسقط من يدها ...

الله أكبر ! ! ما هذا السحر الذي كان يشع من فتنتها وهي تنهزم ؟ ... كانت ساكنة سكون ثورة ، وكان قلبها ينبض فلا يحتمل بدنها الرقيق نبضه فيتموّج ؛ وانعكس قلبي على وجنتيها فرأيتهما تلتهبان بالحب ، وكانت عيناها تتألم ، وكانت نظراتها تئن ! !

وزفر قلبها زفرة ، وزفرت عيناها زفرة أخرى ، ثم قالت وهي تجاهد نظرها إلي : أتحبني ؟

* * *

ثم ماذا ... ثم ماذا أيها العشاق ؟

(لنظا) السيد محمد زباره

وحي المعـــرفة

للأستاذ اسماعيل مظهر

لا أقصد به الوحي الذي ينزله الله سبحانه وتعالى على المختارين من عباده ، أو المصطفين من خلائقه ، فان ذلك الوحي بعيد عن أن تدرك العقول من ماهيته شيئاً ، بل اعتقد أن جل ما تدرك منه إنما يتعلق بأعراضه وظواهره دون حقيقته وجوهره

ولا أقصد به الوحي الذي يقول به الروحانيون ، أولئك الذين يحاولون إثبات العلاقة بين الجواهر اللطيفة الروحانية ، وبين المواد الغليظة الجسمانية ، حتى بعد أن تفارق الأرواح الأبدان ، وتنفصم تلك العروة التي تربط بين المبدأ العلوي الحال في الأجسام السفلية

ولا أقصد به ذلك الوحي الذي حاول أوائلنا من السلف الصالح عليهم رحمة الله أن يثبتوا أن له بالأحلام وأضغاث الأحلام صلة ورابطة ؛ ولا الوحي الذي يقول به بعض المحدثين من أنصار العلامة فرويد ، أولئك الذين قلبوا آية الأحلام فجعلوا عالم الشهادة سبباً في الرؤى ، بعد أن كانت الرؤى عند الأقدمين نذيراً بما سوف يقع في عالم الشهادة

لا أقصد شيئاً من هذا ولا من غيره من الأشياء التي تجعل بين ما بعد الطبيعة والطبيعة رابطة ، قد يدركها التصور ، وقد ينفيها الادراك الحسي ، وإنما أقصد الوحي المادي ، وحي المعرفة تلك التي تشعر ونعتقد أن لها بكياننا المادي علاقة السبب والمسبب ، ورابطة العلة والمعلول . ذلك بأني أعتقد أن بعض العقول الممتازة ، ولا أعلم كيف هي ممتازة ، قد خصت بكفايات الوحي ، مستمداً من المعرفة التي تستوعبها . وكذلك أعتقد أن لبعض العقول ميولاً أشبه بميولنا النفسية ، وأن لبعضها دون بعض رباطاً بناحية معينة من نواحي المعرفة . فلبعضها رابطة بالعلم ، ولبعضها رابطة بالأدب والفلسفة ، ولبعضها رابطة بالفن ، ولبعضها رابطة بالدين . تلك صدور من المعرفة ، أو بالأحرى أشكال من المعرفة ، لكل منها حدودها التي يعينها العقل تعييناً قد يبلغ بعض الأحيان مبلغ اليقين ، وقد ينزل بعض الأحيان منزلة الشك ؛ ولكنها على قدر ما نعلم من اختصاص العقول بالتبريز في ناحية من نواحيها لها حدودها المتفق عليها عند من يعنون بوضع الحدود والفروق بين كفايات العقل الانساني

أما وقد نعلم من طريق اختصاص العقول بالتبريز في نواح معينة من المعرفة أن لصور المعرفة من علم وأدب وفلسفة وفن ودين حدوداً معينة ونخوماً مقررة في شريعة العقل ، فما نشك بجانب هذا في أن لكل عقل من العقول اختصاصاً في ناحية من نواحي المعرفة . نضيف إلى ذلك ظاهرة أخرى ؛ هي أن لبعض العقول فوق اختصاصها في التبريز في ناحية معينة من نواحي المعرفة ، قد خلقت وفيها موهبة خاصة تجعلها أكثر من غيرها استعداداً لتلقي نوع من أنواع الوحي ، تظهر آثاره باستيعاب قدر خاص من المعلومات قلّ أم كثر ، وهذه الآثار التي تتجلى في إدراك بعض العقول لحقائق أو نظريات ، قد تظهر عند درسها أنها قد لا تكون نتاجاً لدرس عميق ، ولا لأكباب على التفكير ، ولا تعمل أو تمحل في إدراك حقائق الأشياء ؛ بل غالباً ما تكون أشبه بالومضة السارية في الظلام أو الشعاع النير يفلق بنوره غياهب الشك ويقضي على الجهالات

أي سر هذا ؟ عقول تدرك بالومض كأنها اللوح الحساس وعقول تعجز عن إدراك ما تدرك تلك ! عقول تنفذ إلى صميم الأشياء بلمحة سانحة ، فتستخلص الحقائق الأولية وتنتزعها من تلك الأضغاث التي تراكمت حولها من فتنة الفكر وتحف الخيال ، وأخرى تستوعب ما تستوعب من مبادىء العلم وصور

الأدب ونظريات الفلسفة وتاريخ الفن وشرائع الدين ، وتظل في جمودها تنظر الى تلك الومضات التي تفيض بها الأولى مأخوذة بأن ما أدركت الأولى قريب مما استوعبت ، ولكنه بعيد عن أحلامها قصي عن إدراكها !

* * *

يصعب على العلم أن يعلل هذا تعليلاً يصل به الى حقيقة الأمر منه . بل ولا شك في أن الخيال والتصور يقفان أمام هذه الظاهرة وقفة العلم من حيث العجز عن إدراك السر فيه . وليس لنا أن نستوحي العلم أو نذهب مع الخيال نعلل حقيقة هذه الظاهرة . وإنما نريد أن نحصر بحثنا في بعض الظواهر التي ترجع الى ما ندعوه وحي المعرفة

إذا مثلت لتاريخ الفكر البشري بشريط طويل من اللون الأسود ، وأردت أن تضع على مسافات معينة من هذا الشريط دوائر بيضاء ، تمثل بها لتلك الومضات الوحيية التي جادت بها عقول ممتازة ، وكان لها الأثر الدافع الى غايات طلبها الانسان وضرب في سبيل الوصول اليها ، لرأيت أن الفراغات السود بين الدوائر البيض قد تطول حدودها حتى يخيل اليك أن الانسانية منذ أبعد عصورها لم تستهد بغير عدد قليل من العقول التي وهبتها الطبيعة تلك الهبة السامية ، هبة الوحي تستنزله المعرفة . ولا شك في أنك تقف عند فكرة التوحيد في عقل اخناتون ، وفكرة الانسان الكامل في عقل سقراط ، وفكرة المنطق عند أرسطوطاليس ، وفكرة دوران الأرض والسببية الطبيعية في عقل غاليليو ، وفكرة الأسلوب والشك في عقل ديكارت ، وفكرة المثاليات في عقل اسبينوزا و (كانت) ، وفكرة التطور في عقل دروين

قد نجمل لمثل هذه العقول منزلة وحدها ونرفعها الى مكانة من الفضل مفردة . فاذا نزلنا عن هذه درجة أمكننا أن نسرد من العقول الممتازة عدداً إن خص بهذه الموهبة فان اختصاصها بالفن يرفعها إلى درجة الأولى ، بل تلوح لنا كأنها التابع حيال المتبوع ، أو الصورة الواضحة في المرآة الصافية . ثم تنزل من هذه درجة ثم الى أخرى ، حتى تبلغ جداً لا نميز فيه بين العقول ، وحيث نأنس أن العلم بالأشياء وحفظ المتون ظهر الشيب ليس له من أثر في الابتكار ، كأنما تلك العقول ليست أكثر من نسخة مكررة في كتاب واحد

أكثر أولئك الذين نسميهم علماء أو نتهم بأنهم أدباء أو مفكرون ، هم من طبقة الذين نطلق عليهم طبقة « النسخة المكررة من الكتاب الواحد » . يعيشون في حدود ما قرأوا ؛ وقد يجيدون حفظ الكتاب إجادة تبلغ درجة الكمال ، ويفكرون على الأسلوب الذي رسمه الكتاب ، بل قلما يجيدون التفكير على ذلك الأسلوب فيفسدون ما قرأوا في الكتاب وينزلون به درجة بعد درجة حتى تمسخ عقولهم ما قرأوا وما حفظوا ، فيصبحون بذلك نسخة مبدلة من كتاب قرأوه ، أو فرض عليهم أن يقرأوه ليؤدوا بقراءته غرضاً لا يعترف به العلم ، ولا هو من شريعة الفهم في شيء

قد يكون السبب في ذلك راجعاً الى أن عقول هؤلاء قد صرفت مقسورة عن تنمية الموهبة التي أعدتها الطبيعة فيها ؛ وقد يكون للنشأة في ذلك أثرها وللبيئة طابعها الثابت ؛ وقد يكون لنظرة ما ينظر من ناحيتها في الحياة أثر في العقل ينتج ذلك الجمود العلمي والتحجر العقلي ؛ وقد يكون للخلق وللشهوات عوامل خفية تؤثر في اتجاه العقول

قد يكون ذلك وقد يكون أكثر منه . والحق أن من يفكر في مثل هذا الأمر يشعر بالعجز عن بلوغ الغاية في تعليله تعليلا علمياً يقبله العقل ، ولكن لنا أن نقول إن للوراثات المختلفة وحالات الحياة الأثر الأول في حدوث هذه الظواهر العجيبة

على أننا إلى جانب هذا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الملكة ، ملكة الوصول إلى غايات من العلم والأدب والفن تكاد تظهر كأنها الوحي ، هي من الملكات التي يمكن أن تنميها التربية ، وتصححها النشأة ، وتقويها طرق التعليم . ذلك بأن العقل الانساني في ذاته يكاد يكون في أشياء الطبيعة بمثابة الوحي في جمود الحيوانية وموت الجمادات . قسه مثلاً على غرائز الحيوان أو تفاعل الجمادات الكيميائي ، وأنت واجد أنه في ظواهر الطبيعة نسيج وحده وطابع لا يتكرر . وهذا العقل بكفايته وملكاته ، تصبه البيئة والتعاليم والنشأة في قوالب تظهر بها مرونته وقدرته على التشكل في أشكال كثيرة ، واستعداده إلى قبول حالات جديدة ليست له من قبل . وما تلك الأشكال وهذه الحالات إلا آثار مختلفة يخلقها ما يحيط بالعقل من عوامل التدرج نحو بلوغ الغايات العليا من المعرفة ؛ تلك الغايات التي تنتهي إلى تلك الومضات

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

مدير مصلحة الكيمياء

وسطاء شر أبرياء

وصل القائمت : بدأ إسميث يبحث علة الحمى التكاسية التى تنتقل من أبقار الولايات الجنوبية فى الولايات المتحدة إلى أبقار الولايات الشمالية فيها . فجهز حقلين : ووضع فى الحقل الأول بقرات شمالية مع بقرات جنوبية ولم ينتزع من هذه الأخيرة القراد الذى عليها ، ووضع فى الحقل الثانى مثل ذلك بعد أن نظف البقرات الجنوبية من قرادها ، وتركها جميعاً ، فأصابت الحمى البقرات الشمالية فى الحقل الأول ، ولم تصبها فى الحقل الثانى

وزادت الحمى فى الحقل الأول انقاداً ، ثم أخذت بقراته تموت واحدة بعد أخرى . وشُقّت بطون الجثث للفحص فجرى دمها أحمر صبيباً . واختلفوا بين حقول الريف ومكرسكوبات المعمل بالمدينة فى امتحان الدماء . وانتقلت عدوى العمل إلى اسكندر الكسول لمّا أحس بأن فى الجوّ أمراً جللا ، فنفض غبار كسله المأثور وأخذ نصيبه من الحركة . ونظر اسميث إلى دم البقر الخفيف وأخذ يتأمله ، ثم قال : « إن المكروب الخفىّ لهذه الحمى التكاسية إنما يهجم على كريّات الدم الحمراء فيفقؤها . ففى بطون هذه الكريّات يجب أن أبحث عن المكروب »

كان لا يثق بالتقارير التى يكتبها المكرسكوبيّون المختصون ، أو الذين يُدعَوْن بالمختصين ، ومع ذلك فقد كان له بالمكرسكوب خبرة لا تبارى . وحرّر أقوى مكرسكوب لديه على دم البقرة التى ماتت أولاً ، فأخذ الحظُّ بعينه ، فارتأى لأول وهلة فى الكُرَيّة الدموية الحمراء ، وهى فى المعروف متصلة الجوف صماء ، رأى فراغات صغيرة تعمقتْ معاً فاتخذ مجموعها شكل الكمثرى ؛ وتراءت له فى أول الأمر كأنها ثقوب فى قرص الكرة الدموية ليس إلا ، ولكنه أخذ يُبعد عدسة المجهر ويقرّبها فأحكم بَوْأرتها ، وأخذ يُكثّر عدد العينات التى يمتحنها ، فأخذت هذه الفراغات والثقوب تنبض فى بصره بالحياة فتتمثل له على حقيقتها أحياءَ لها شكل الكمثرى . ورآها فى دم كل بقرة ماتت بالحمى التكاسية ، ورآها دائماً فى جوف كرات الدم الحمراء تُفسد فيه وتُخيفه فيصبح مُرهفاً كالماء . ولم يرها قط فى دم بقرة شمالية صحيحة ، فأسرّ لنفسه : « لعل هذا مكروب الحمى » . وكان له اتئاد الفلاح فلم يتعجل فى الحكم ، واعتزم قبل أن يَقضِى على أن يفحص دماً من مائة بقرة مريضة وسليمة ، وأن يمتحن الملايين من الكرات الحمراء

وكان الحرّ قد مضى وحلّ شهر سبتمبر ، وكان فى الحقل الثانى أربع بقرات من البقر الشمالىّ كلها سليمة ترعى الحشيش وتزداد سمنا — ولم يكن عليها قُراد أصلاً . فقال إسميث وهو ينظر اليها : « إن من الميسور هنا أن نحقّق التهمة المعزوّة الى القراد من تسبيب الحمى » . وقام فساق اثنتين من هذه البقرات السليمة الأربع الى الحقل الأول الذى مات به البقر المريض ، ففى أسبوع رأى قراداً أحمر أغبر صغيراً يزحف على فخذ البقرتين . ومضى أسبوعان أو يزيدان قليلاً فماتت إحداها ، أما الأخرى فغادرها تعانى من الحمى ما تعانى

ولم يقتنع إسميث بكل هذا فطلب المزيد — المزيدَ الذى لا يطلب مثله فى العلماء سواه . وكانت لا تزال هناك حيلة لابد

الوحيية التى جادت بها على البشرية عقول نبغتها بأنها نافذة وأنها بلغت الغاية من سمو الادراك

لما كان للتربية والبيئة خاصة التأثير فى تكوين العقول ، ولما كان لهما ذلك الأثر البالغ ، كان علينا ألا ننكر أن مَهمّ المصلحين يجب أن يتجه أولاً إلى وضع التربية والتنشئة الأولى فى موضع من الاعتبار يجعل لها القيمة العليا فى أشياء الجمعيات الانسانية كما يجب عليهم أن ينظروا فى تأثير البيئات التى تكتنف النشء ، وأن يسيطروا عليها إلى الحد الذى يباح فيه للحكومات أن تحُدّ فى بعض النظم والمعاهد انقاء لما تنشئ من بيئات مصطنعة بعيدة عما تتطلبه التربية السامية وقواعدها المقررة وأصولها المعروفة

فى البيت وفى المدرسة وفى الحياة العامة ، ينبغى أن تقوم تلك البيئات التى تساعد على تنشئة العقل وتدريبه على النظر فى الأشياء نظرات تنفذ إلى صميمها ، وأول خطوة فى هذه السبيل يجب أن تقوم على هدم الأوهام ومحو الأضاليل ، وما محو الأوهام وهدم الأضاليل ، إلا نتيجة أولية لتحرير العقول

اسماعيل مظهر

من احتيالها ، أو إن شئت فقل تجربة لا بد من إجرائها . فقد كان جاء من كرُلينة الشمالية صفائح ملأى بالحشيش تجرى عليه جماعات القراد تسعى عطشى الى دم تستقيه . فأخذ إسميث هذه الصفائح الى حقل ثالث لم تطأ أرضه بقرة واحدة من بقر الجنوب أو قرادة قط من قراداته . وأخذ يذهب فيه ويجيء ، يُفرغ حشيش الصفيحات وينثره بقراده على أرضه فلعل فيه الموت ، ثم اقتاد أربع بقرات سليمة الى هذا الحقل ، فمضت بضعة أسابيع انحل فيها دم البقر كله . وماتت منه بقرة ، أما الثلاث الأخريات فنالتها نوبات شديدة من الحمى ولكنها اشتفت أخيراً

— ٦ —

وعلى هذا فقد نجح إسميث أول ناجح فى تتبع أثر مكروب قاتل ، والكشف عن السبيل الذى يسلكه الى حيوان بركوبه على ظهر آخر . ففى الحقل حيث كان بقرٌ جنوبىٌ ، وكان قرادٌ مات البقر الشمالىّ . وفى الحقل حيث كان بقرٌ جنوبى ، ولكن لم يكن قراد ، زاد البقر الشمالى سِمَنا وهنىء عيشا . وفى الحقل الذى لم يكن به بقرٌ جنوبىٌ ولكن كان قرادٌ ، أصيبت البقرات الشمالية بالحمى التكساسية

إذن فالقراد أصل البلاء

وإذن فقد أثبت إسميث بذلك المنطق البسيط ، وبهذا العدد العديد من التجارب أن البقّارين فى غرب أمريكا إنما قالوا حقاً ورأوا صدقاً ، واستبانوا حقيقة جديدة من أكبر حقائق الطبيعة عند ما اتهموا القراد . واستخلص إسميث هذه الحقيقة الكونية الكبرى من ذكاء الشعب ومما جرت به ألسنة الخلق فكان مَثَل هذا الكشف الخطير مَثَلُ العَجَلة يُرَدّ اختراعها الى الناس ، الى قوة ابتكار الدهماء حتى تبوأت مكانها من المحركات الكهربائية العظيمة الدوّارة الطنّانة

ولعلك حاسب بعد ذلك من وضوح تجاربه وثبوت نتائجها ثبوتا قاطعاً أنه اكتفى بها ، ولعلك حاسبٌ أنه نصح حكومته بعد ذلك باشهار حرب طاحنة على القراد . ما كان هذا طبع إسميث ، ولم تكن تلك سبيله ، فبدل ذلك اصطبر الى صيف العام المقبل عام ١٨٩٠ ، فلما جاء حرّه أجرى تلك التجارب مرة أخرى وزاد عليها ، وكلها تجارب بسيطة ولكنه إذ اتهم لم يُرد أن يكون اتهامه إلا عن يقين . فتساءل : « كيف ينقل القراد الداء من بقرة جنوبية الى بقرة شمالية ، ونحن نعلم أن القرادة تقضى حياتها كلها على ظهر بقرة واحدة ، وهى لا تطير كالذباب من بقرة الى أخرى ؟ . . » وهذا سؤال لا شك عويص ، أعوص من أن يحله البقارون بمعارفهم الساذجة . فنصب إسميث نفسه ليردّ عليه

فتفكر ثم قال : « لا بد أن القراد يمتص من الدم ثم يمتص حتى إذا امتلأ وبلغ واستوى ، سقط فانهرس على الأرض ، فخلّف على الحشيش المكروب الكمّنرىّ الشكل الذى كان بالدم الذى استقاه ، فجاء البقر الشمالى فأكل الحشيش ومكروبه »

وعلى ذلك أخذ آلافاً من القراد الذى جاء فى الصفائح من الجنوب ، وخلطها بحشيش جاف ، وأطعمها بقرة شمالية لا تقوى على دفع الحمى ، كان أسكنها حظيرة وحدها ، واعتنى عناية مختارة بها ؛ وانتظر أن يأتيها الداء فلم يأت . وأخذت البقرة تجتر طعامها الجديد هانئة مستمتعة ، وازدادت عليه شحما . وأشرب بقرةً أخرى حساء صنعه من قراد مدهوك ، ثم عاد فأشربها ثم أشربها فكأنما أراد أن يغرقها فى الحساء إغراقاً . ولكن هذه البقرة أيضاً خُيِّل أنها تستمرئ شرابها الغريب وحسُنت عليه حالها

فسدت التجربة فأُرتِج عليه ، إذن فالبقر على ما يظهر لا يأتيه المكروب من أكل القراد . وفى الليل توالت عليه الأسئلة يلقيها على نفسه تباعاً فى سلسلة لا تنتهى . وتساءل فيما تساءل : « إن البقر الجنوبى ذا القراد ينزل فى الحقل فلا يكون هذا الحقل وبيئاً إلا بعد ثلاثين يوماً من نزول البقر فيه . فلم هذا ؟ » وعرف البقّارون هذه الحقيقة أيضاً ، وعرفوا أنهم يستطيعون خلط بقر شمالى بجنوبى عشرين يوماً أو نحوها ، ثم يفصلون بينها فلا ينال المرض البقر الشمالى أبداً . أما إذا هم تركوها على اختلاط فوق هذا القدر من الأيام ، أو حتى إذا هم أبقوا البقر الشمالى وحده حيث هو من الحقل فوق العشرين يوماً بأيام قليلة ، فلا يلبث أن يَفجأه الداء فكأنما انقض عليه من السماء . فتلك أُحجيةٌ أى أحجية !

وذات يوم من هذا الصيف صيف عام ١٨٩٠ تفسرت الأحجية بغتة واتصلت قطع الصورة المتكسرة المتفرقة فُجاءةً فاتضحت فى عينه على حين غِرّة فشَدَهَته ، فوقف أمامها ذاهلاً مبهوتاً . وكان إذ ذاك فى شُغل من أمور عديدة أخرى وإجراء تجارب من ألوان شتى : كان يفصد البقر الشمالى ويسكب من دمه جالونات ليفقر دمه ، فقد كان خال أن المكروب

الكُمَّثْرَى الذى رآه فى كرات الدم ربما كان فقراً فى الدم لا مكروباً . وكان يتعلم كيف يُفَقِّص قراداً صغيراً نظيفاً فى معمله . وكان لا يزال يلقط القراد من على ظهر أبقار جنوبية ليثبت أنها من غير قراد لا تضر الأبقار الشمالية ، وقد يفوته أن يلتقطه كله فتأتى نتيجة التجربة بغير الذى أراد . وكان قائماً فى سبيل استكشاف حقيقة باهرة ؛ أن العجول الشمالية لا تصيبها إلا حمى هيّنة لا تُميت فى الحقول التى تقضى على أمهاتها . كان همّه أن يجد كل أثر أياً كان نوعه للقراد فى البقر الشمالى — فلعلها تسبب لها أسواء أخرى غير الحمى التكساسية

فى أثناء كل هذا تفسرت الأحجية . ذلك أنه سأل نفسه أترى أنى بدأت ببويضات القراد فى صحن من الزجاج فأخرجت منها فى حجرتى قرادات نظيفة لم تر حقلاً أو بقرة وبيئة ، ثم لو أنى وضعتها بعد ذلك على بقرة شمالية وتركتها تمتص من دمها ملئها ، أفتستطيع أن تمتص ما يكفى لافقار دم بقرة ؟ سؤال غريب يتراءى لى أنه كان لغير غاية ؛ ولكنه يدل على أن فكرته كانت أبعد ما تكون من الحمى التكساسية

ومع هذا حاول أن يحصل على جواب سؤاله ، فأتى بعجلة سمينة بنت عام ووضعها فى زريبة مقفلة ، وأخذ يُهيل عليها يوماً فيوماً مئات من قرادات صغيرات من تفقيسه ، ويمسك بها حتى يفوص القراد بعيداً تحت شعرها ويتمسك بجلدها . وأخذ يوما فيوما يشق جلدها ليأخذ قطرات من دمها ليستوثق من فقره . وذات يوم جاء إلى الزريبة ليجرى عليها ما اعتاده ، فلما وضع يده عليها أخذته الدهشة مما أحسّ . فقد أحسها حارّة ، شديدة الحرارة شدّة جعلته يتهم حالها . ونظر اليها فوجد رقبتها تميل . وامتنعت عن الطعام ، ودمها الذى كان يخرج من شقوق جلدها أحمر ثخيناً أصبح يجرى رهيفاً داكناً . فجرى إلى حجرته بقطرات من هذا الدم على قطع من الزجاج ، ووضعها تحت المجهر ورأى ، ويا صدق ما خال . ورأى كرات الدم الحمراء قد التوت وتثلمت وتحطمت وقد كان عهده بها قوراء ناعمة كالدرهم المسيح . وفى هذه الكرات الحطيمة وجد المكروب ... فهناك غريبة من الغرائب التى قد لا تجود بها الأحلام : فهذه المكروبات لا بد أنها جاءت من جنوب أمريكا فى القراد البالغ ، فلما باض وجد المكروب سبيله إلى البيض فاستكنّ فيه ، فلما انفقس البيضُ فى صحون الزجاج عن قرادات صغيرة حملت هذه المكروبَ معها ، فلما وقعت على ظهر العجلة مصت دمها فانساب المكروب أكثر ما يكون تهيؤا للفتك بالعجلة المسكينة التى وقعت فريسة القَدَر على غير قصد وبغير ذنب

فى سرعة البرق اتضح كل هذا لعين إسميث

ليست القرادات العجائز التى امتلأت بالدم وارتوت هى التى تهيء سبيل المكروب إلى البقر الشمالى ، بل صغارها من ذات خمسة الأيام إلى العشرة هى التى حملت القتلة الأشرار إلى ضحاياها

وعندئذ فَقِهَ السبب الذى من أجله تأخر الحقل أن يكون خطيراً ، فان الأمهات من القراد كان لا بد لها من السقوط عن ظهر البقر الجنوبى الحصين أولاً ، ثم لابد لها على الأرض من أيام تبيض فيها ، ثم لا بد للبيض من عشرين يوماً أو تزيد لانفقاسه ، ثم لابد للصغار الخارجة من البيض من زمن تزحف فيه إلى أرجل البقر الشمالى فالى أفخاذه — وهذه الأحداث تستغرق أياماً كثيرة ، تستغرق الأسابيع . فهل وجدتَ جواباً أيسر من هذا لسؤال أعسر من هذا ، لولا المصادفة البحتة ما تيسر أبداً ؟

وما لبث أن استخرج بالتفقيس فى صحون دافئة من الزجاج آلافاً من القراد ، وأخذ فى زيادة إثبات اكتشافه الكبير حتى ثبت ثبوتاً قاطعاً . فكان كلما ركم قرادة على ظهر بقرة شمالية أصابتها الحمى ؛ ولم تكن تكفيه الكفاية من البراهين . وأخذ صيف عام ١٨٩٠ فى الادبار وأخذ البرد فى الاقبال ، فاذا به يسخّن الحظائر بمواقد الفحم ، ويفقّس القراد فى مكان دافئ ، ثم يضعه على جلد البقرة فيقوم نار الحظيرة مقام الشمس فى إكمال نموّه ، فاذا به يصنع على ظهر البقرة صنيعه المعهود ، وإذا بها تجيئها الحمى فى الشتاء وهى لم تكن جاءت شتاءً فى الطبيعة أبدا

وقضى إسميث وكلبورن صيفين آخرين يضربان فى الحقول يستكملان بحثهما ، ويسدّان خروق السفينة بالقار والكتان ، ويتساءلان كل سؤال يخطر بالبال ، ويجيبان بتجارب غاية فى البساطة غاية فى الاحكام على كل اعتراض يحتمل أن يثيره العلماء البيطريون ، وذلك قبل أن تُعطَى الفرصة لهم ليعترضوا . واكتشفا

أثناء ذلك حقائق غريبة فى الحصانة ، إذ وجدوا أن المجول الشمالية تصيبها الحمى التكساسية إصابتين خفيفتين أو ثلاثاً فى الصيف ، فاذا دار العام وكبرت أخذت ترعى فى الحقول الوبيئة القاضية على كل بقرة شمالية فلا تحس وباءها أصلاً ... لا يفسران حصانة البقر الجنوبى : إن هذه الحمى الخبيثة توجد فى الجنوب حيثما وجد القراد . والجنوب كله قراد . فهذا القراد لا يفتأ يصب مكروبه فى دماء الأبقار الجنوبية فى كل آن ومكان ، وهذه الأبقار الجنوبية تحمل المكروب فى دمها ليل نهار ، ولكنها لا تحفل به ، لأنها أصيبت به وهى عجول فاحتملته فتحصنت منه من بعد ذلك

وأخيراً ، وبعد أربعة أصياف شديدة الحر كثيرة الانتاج بجيدة ، جلس إسميث جلسة طويلة يصف الحمى التكساسية فلا يدع فيها سؤالاً لسائل ، ويصف كذلك كيف يُمحَى الداء محوا . وكان ذلك فى عام ١٨٩٣ ، وكان بستور الذى تنبأ بامحاء الأدواء جميعاً على نحو هذا المثال يتهيأ عندئذ للكفن والقبر .

كتب إسميث ما كتب عن هذه الحمى فأتى على قطعة رائعة من قطع الفن لم أجد أبسط منها ولا أوضح فى حل لُغز من ألغاز الطبيعة ، أقول هذا وأنا لست بناس روائع لوقنهوك ولا بدائع كوخ أو أى رجل من رجال المكروب ؛ قطعة رائعة يفهمها الصبى الذكى لبساطتها ، ويرفع لها نيوتن العظيم قبعته احتراماً لعظمتها . كان إسميث وهو صغير يحب بيتهوفن وموسيقاه ، وإنى لأجد فى قطعة إسميث هذه التى أسماها « بحثاً فى طبيعة الحمى التكساسية أو حمى الأبقار الجنوبية ، وفى أسبابها ، وفى منعها » إنى لأجد فيها من الروعة ما فى السمفونة الثامنة لبتهوفن ، تلك التى أنشأها فى أواخر أيامه المريرة . كلتا القطعتين بسيط موضوعهما بساطة بلغت حد السخف ، ولكن موضوعهما هذا البسيط نُوِّع وركِّب تنويعاً لا يستطيعه إنسى ، فكانتا على مثال الطبيعة ذاتها ، غاية فى البساطة غاية فى التركب والتعقد

فبهذا التقرير فتح اسميث للانسانية فتحاً جديداً ، فأرى الناس سبيلاً جديدة يسلكها المكروب بالداء إلى ضحيته : محمولاً على حشرة . وبدون هذه الحشرة لا يستطيع الوصول . أعدموا هذه الحشرة ، غطّوا كل مواشيكم فى سائل ليقتل قُرادها ، أعيشوا البقر الشمالى فى أرض لا قراد فيها . افعلوا كل هذا تَخْتَفِ الحمى التكساسية من على ظهر البسيطة . واليوم تقوم عدة ولايات كاملة بتطهير مواشيها بالتغطيس فى المطهِّرات ، واليوم لا تجد أحداً يرتاع أقل ارتياع لهذه الحمى التى أنذرت بالفناء الألوف المؤلفة من قُطعان أمريكا

وليس هذا كلَّ الخير الذى جاء من هذا التقرير البسيط الذى لا زركشة فيه ولا تزويق ، هذا التقرير الخالد الذى لم ينل ما يستحق من التقدير حتى لا تجد منه فى السوق نسخة واحدة ، فانه لم يلبث أن شاع حتى حدثت من جرائه أحداث عظيمة فى جنوب أفريقيا وفى الهند وإيطاليا . ففى أفريقيا الجنوبية فى أدغالها الخطيرة عضت ذبابة [1] رئيس الأطباء فى كتيبة من كتائب الجيش ، وكان اسكتلنديا جسيما ، فسب من عضها ولعن ، ثم خطر له الخاطر فأخذ يفكر فيما عسى أن تصنع هذه الذبابة من الضر بالانسان غير عضها المقلقة . وبعد هذا بقليل حدث أن رجلاً انجليزياً فى الهند ، وآخر إيطالياً فى إيطاليا ، فتح كلاهما آذانهما وسُمِّمَها ينصتان لجاعات البعوض ترسل بطنينها المديد الشاكى ، ثم فتحا أذهانهما وأعملا خيالهما وأطلقا الأعنة للأحلام فاختطا خططا عجيبة لتجارب غريبة ...

على أن هذه قصص ستريها الفصول القادمة .. قصص تحكى لنا عن أوبئة قديمة معجزة جاحة أعجزها الانسان وألجمها ، فأسلمت له القيادة ؛ قصص تحكى عن وباء أصفر فتاك ، احمى الآن من الوجود أو كاد ، قصص تحكى لنا عن رجال ذوى آمال صوروا الحياة البشرية تزداد بتناقص الأدواء ، وتنشط وتمتد عبابها الزاخر حتى يغمر أدغالاً لا تسكنها الآن غير الزواحف والضوارى ، فتزدهر عن مدائن ذات أنوار وأبراج ؛ فهذه القصص كلها مهَّد لها إسميث بما قام به فى سيادة المكروب من بحوث جديدة عمَّى عليها الآن النسيان أو كاد ، بحوث هى الأولى التى سوغت لبنى الناس أن يحلموا الأحلام الجميلة عن دنيا لهم مقبلة جميلة تختلف اختلافا بيِّنا عن دنيا هم الحاضرة

أحمد زكى

(١) هى ذبابة تسى تسى tsetse تقتل بعضها الوحوش والخيل والكلاب

الفتح الاسلامي[1]

للأستاذ علي الطنطاوي

« الفتح الاسلامي » أكبر لغز من ألغاز العبقرية ، وأروع أحجيّة من أحاجي النبوغ ، وأجل مظهر من مظاهر العظمة في تاريخ البشر . ولقد مرت عليه إلى اليوم قرون طويلة ، وأعصار مديدة ، ارتقى فيها فن الحرب ، وتقدم فيها البشر أشواطا في كل ميدان من ميادين الحضارة ، وغاص المؤرخون في أعماق الحوادث التاريخية ، فكشفوا أسرارها وعرفوا أسبابها ، فبدت لهم هينة ضئيلة ، بعد أن كانوا يرونها لغزاً لا يحل ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكشفوا سر الفتوحات الاسلامية — ولم يدركوا كُنْهَها . وستمر قرون أخرى وأعصار — قبل أن يكشف ذلك السر ، وقبل أن يرى تاريخ البشر حادثاً أعجب وأعظم من « الفتح الاسلامي »

إن الحوادث العظيمة في التاريخ على اختلاف مظاهرها وتنوع أشكالها ، لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث : إما أن تكون عظمتها فيما أورثت الانسانية من حضارة وعمران ، وما رفهت من عيش الناس ، وما أفادتهم من رغد ونعمة وترف ، وإما أن تكون هذه العظمة فيما خدمت به العقل البشري ، وأمدته بأسباب القوة والنضوج ، ورفعت من تفكير الناس ، وأدنتهم من المثل العليا التي يطمحون إليها ، بما فتحت عليهم من أبواب الثقافة وسُبل المعرفة ، وإما أن تكون عظمة الحادث التاريخي في ذاته ، وفيما ينطوي عليه من بطولة نادرة ، وقدرة عجيبة ، وجلال لا يعرفه التاريخ إلا قليلاً ؛ أي أن العظمة إما أن تكون عظمة حضارة وعمران ، أو علم وفكر ، أو بطولة وحرب .

« والفتح الاسلامي » أعظم الحوادث التاريخية كلها ، في أبواب العظمة كلها ، لا يدانيه في ذلك حادث في تاريخ الشرق والغرب ، القديم منه والحديث

أما في الحروب فان التاريخ يعرف كثيراً من الفاتحين ، منذ عهد الاسكندر ومن قبل الاسكندر ، إلى عهد نابليون ومن بعد نابليون ، ولكنه لم يعرف فتحاً أوسع ولا أسرع من « الفتح الاسلامي » الذي امتد في اثني عشر عاماً فقط من طراباس الغرب إلى آخر بلاد العجم ، وحاز مصر وسورية وفارس كلها . . على أن ميزة الفتح الاسلامي ليست في السعة والسرعة وحدهما ، ولكن ميزته الكبرى أنه فتح أبدي ، فلم يعرف عن المسلمين أنهم دخلوا بلاداً وخرجوا منها[1] ؛ ذلك أنهم لا يفتحون البلاد بسيوفهم شأن كل الفاتحين ، ولكنهم يفتحون القلوب والعقول ، بعدلهم وعلمهم ، فلا تلبث البلاد المفتوحة أن تندمج بالمسلمين ، وتصبح أغير على الاسلام من المسلمين الفاتحين ، بينما ترى البلاد التي فتحها غيرهم تبقى خاضعة لهم ما بقي السيف مصلتاً فوق رؤوس أهلها ، فاذا أحسوا من الفاتحين غرّة ، وآنسوا منهم ضعفاً وثبوا عليهم فطردوهم ، وعادوا إلى ما كانوا عليه ، حتى أن أمريكا على رغم أنها كانت خالية إلا من قبائل لا شأن لها ، وليس فيها دين يناوئ ديناً ، أو عادات تصادم عادات ، وعلى رغم أن أهلها الذين استعمروها إنكليز كالانجليز الحاكمين ، فانهم وثبوا عليهم وحاربوهم حتى نالوا استقلالهم ؛ ولا تجد اليوم أمريكياً واحداً يريد الانضمام إلى إنكلترا (الأم الكبرى) ، بينما تجد كل مسلم في الصين أو الهند أو جاوا أو القسطنطينية كل مسلم صحيح ، يتحسر على الوحدة الاسلامية — ويسعى إليها — ولا يقبل بها بديلا ، على رغم ما أحدثوا لهم من كذبة القوميات وبدعة الوطنيات ، وما أقاموا بين الاخوان من سدود ، وما فصلوا به بينهم من حدود ، وما مرّ على هذه التفرقة من سنين وأعوام . ذلك لأن « الفتح الاسلامي » فتح أبدي ، مستقر في القلوب ، لا تقوى قوة بشرية على انتزاعه ، وهذه هي ميزته التي امتاز بها على كل فتح في التاريخ

أما في العلم والثقافة ؛ فقد كان « الفتح الاسلامي » أكبر حادث علمي ، لأنه حمل إلى البلاد التي فتحها علم السماء والأرض ،

(١) فصل من كتاب (عمر بن الخطاب) تأليف الشيخ علي الطنطاوي وأخيه ناجي الطنطاوي ، وقد صدر اليوم الجزء الأول منه في (٣٦٨) صفحة من القطع الكبير ، وهو يطلب من (المكتبة العربية بدمشق) وسيصدر الجزء الثاني قريباً . والكتاب على نمط كتاب (أبو بكر الصديق) وأسلوبه

(١) الا الأندلس وما يلحق بها ، وقد بقيت روح العرب المسلمين في الأندلس . برغم نصرانيتها وإسبانيتها ، وبرغم ما حاربوها به من وسائل وحشية همجية — حتى ظهرت أخيراً على ألسنة كبار شعرائها ، وأعاظم ساستها ، واقرأ نبأ ذلك في (حاضر العالم الاسلامي) الكتاب الذي ينبغي ألا تخلو منه مكتبة مسلم

فحرر عقولها بالتوحيد ، وأعتقها من عبودية الأحجار والأشجار ، والنيران والأخشاب ، والقبس والأشراف . ثم وضع في أيديها القرآن الذي يأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض ، ويحفز إلى البحث والنظر والاستدلال ، والسنة التي ترغب في العلم وتدعو إليه ، وتجعل طلبه فريضة على كل مسلم ؛ وكان الفاتحون أنفسهم علماء ، فما هي إلا أن فرغوا من الحروب حتى وضعوا السيف وحملوا القلم ، وألقوا الدروع وأخذوا الكتب ، وجلسوا في المساجد (والمساجد برلمانات المسلمين وجامعاتهم العلمية) يُدرسون ويُقرئون ويبحثون ، فكان من تلاميذهم المفسرون والمحدثون ، والفقهاء والأصوليون ، والأدباء والنحويون ، والقصاص والمؤرخون ، والفلاسفة والباحثون ، والأطباء والفلكيون ، أولئك الذين تصدروا بعدُ للتدريس في جامعات الشرق ، وجامعات الأندلس ، فجلس بين أيديهم الباباوات ، والملوك ملوك أوربا ، وكانوا أساتذة العالم الحديث

فكان من ثمرة الفتح أن هذه البلاد الأعجمية — التي كانت تئنّ في ظلام الجهل والظلم — لم تلبث أن ظهر منها علماء فحول ، كان لهم الفضل على العقل البشري ، ولا تزال أسماؤها خالدة ، تضيء في جبين الدهر

ومن لمعمري بنسي البخاريّ والطبريّ والأصبهاني والهمذانيّ والشيرازيّ والسَّرَخْسيّ والمَرْوَزي والرازيّ والخُوارزمي والنَّيسابوريّ والقزويني والدِّينَوَري والسِّيرافي والجُرجاني والنَّسائي وغيرهم وغيرهم ممن لا يحصيهم عدّ ؟ ألا يشعر كل مسلم بأن هؤلاء وأمثالهم هم علماء الملّة وأعلامها ؟ ألا تحلّ كتاب البخاري أسمى محل من نفوسنا ، ونتخذه حجة بيننا وبين الله ؟ ألا يؤلف هؤلاء العلماء صلة من أوثق الصلات بيننا وبين فارس لا يستطيع أن يفصم عراها مائة حكومة من مثل الحكومة الحاضرة ، التي تستنّ في فارس سنّة (هذا الآخر ...) في تركيا

هذا هو فضل الفتح علينا وعلى الأجيال الآتية — أما فضله على العقل البشري — فحسبك أن تعلم أنه لولا الفتح الاسلامي ، ولولا علماء المسلمين وفلاسفتهم لم يكن عقل القرن العشرين

أما في الحضارة والعمران ؛ فللفتح الاسلامي أكبر الأثر في نشر الحضارة وتوطيد العمران ، والعمران طبيعة في العربي المسلم ، فلم يمض على فتح المسلمين بلاد العراق إلا سنوات حتى أسسوا مدنتين كبيرتين كان لهما الفضل والمنّة على الحركة العلمية والأدبية في العالم كله . فضلاً عن أنهما كانتا قاعدتين حربيتين من أكبر القواعد الحربية ؛ وما استقرت أقدامهم في البلاد حتى شرعوا في بناء المدن الكبيرة ، والقصور العظيمة ، وإنشاء أروع آثار البناء ، حتى كانت بغداد وسرّ من رأى ، وكانت دمشق من قبل ، والقاهرة ومدن الأندلس من بعد ، أعجوبة في فنّ العمران ، وها إن أثراً صغيراً من آثار العرب — ليس بأعظمها ولا أكبرها — لا يزال إلى اليوم محطّ ركاب الرحال من أهل العلم ورجال الأدب ، ولا يزال مصدراً مالياً لحكومة من كبار حكومات أوربة تعيش إلى اليوم بفضل العرب ، هي حكومة أسبانيا . ولقد حاول الانكليز على قوتهم وغناهم — في هذا العصر الذي تيسرت فيه أسباب كل شيء — أن ينشئوا مثل « الحمراء » فأنشأوا قصراً في سيدنهام يعدّ من أعظم المباني المصرية وأجلها ، ولا يزال دون الأصل بمراحل [1] فكيف عن بنى الأصل في ذلك العصر الغابر ؟

وكيف لو بقيت « الزهراء » التي حيّرت رُسُل الافرنج ، أو بقي « التاج » في بغداد ، أو « دار الشجرة » التي أدهشت وفود الروم ؟

* * *

إنه ما من شك لدى المنصفين من المؤرخين ، أنه لولا قيام الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى [2] وازدهارها في الشرق حين كانت أمم الغرب في ظلمات بعضها فوق بعض ، لم تقم الحضارة الحاضرة ، ولم يتمتع البشر اليوم بثمراتها

فالفتح الاسلامي إذن أعظم حادث في البطولة والفكر والعمران . وهو لغز غامض حيّر نابليون (نابغة العصر الحديث في فن الحرب) وحيّر المؤرخين كلهم . ذلك أن العرب على ما امتازوا به من الكرم والشجاعة والوفاء والمروءة والاباء ، كانوا في جاهليتهم بُداة متفرقين ، وجاهليين وثنيين ، منقسمين على أنفسهم ، مختلفين فيما بينهم ، لا يعرفون إلا جامعة القبيلة ، ووحدة العشيرة ، فإذا فخروا فبها يفخرون ، وإن دافعوا فعنها

(١) حضارة العرب لأسعد داغر ٢٥٦

(٢) المذهب الصحيح في القرون الوسطى هو ماذهب اليه المؤرخ الألماني (شينكلر) وغيره من أن هذا التقسيم إلى قرون قديمة ووسطى وحديثة — إن صح وقبل — فلا يطلق على غير أوربة ، ولا علاقة له بالشرق ، لأن لكل حضارة مميزات خاصة ، ومن الخطأ الجسيم سحب صفات القرون الوسطى على الشرق المسلم الذي كان إلى ذلك العهد في ذروة الرقي

يدافعون . . . إذا وجد العربى من القبيلة قافلةً من غير قبيلته ، كان فى حل من انتهاب مالها ، وقتل رجالها ، لا حكومة تنظم أمورهم ، ولا دين يردعهم ، إلا ديناً مضحكا سخيفاً ، دين من يتخذ رباً من التمر ، فاذا جاع أكله ، كما (أكلت حنيفةُ ربها . . .) ، أو من ينحت من الصخر صنما ، ثم يعكف عليه عابداً داعياً ، أومن يعبد الشجر والحجر . وكانوا يخشون كسرى ، ويرهبون قيصر ؛ وكان ملوكهم فى الحيرة والشام تبعاً للفرس والروم وجنداً لهما ، يضربون بعضهم ببعض ، ليذهبوا هم بالغنم ويعود العرب بالغرم ؛ وكان اتحاد قبيلتين اثنتين كبكر وتغلب فى طاعة كليب ، أو قيس والسكون فى جيش قيس بن معدى كرب حادثاً عجيباً يكسب صاحبه فخر الأبد ، وأمراً نادراً يلبث حديث الناس أياماً وليالى . . . فكيف يتحد العرب كلهم ، عدنانيهم وقحطانيهم ، ويسيرون فى صف واحد ، يقدمهم رجل واحد ، حتى يواجهوا جيوش كسرى وقيصر التى يهابونها ويرهبونها ، ثم يضربونها الضربة القاصمة للظهر ، فاذا انجلى غبار المعركة نظرت فاذا المعجزة قد ظهرت على أتمها ، وإذا الأرض قد بُدلت غير الأرض ، وإذا فارس الوثنية ، وسورية النصرانية ، ومصر الرومانية ، قد محيت كلها محواً ، وقامت مكانها أمم إسلامية فى فارس وسورية ومصر ، كأنما هى لاخلاصها للعربية والاسلام لم تكن يوماً من الأيام على غير الاسلام ؟

أكان هذا الانقلاب ما بين لبلة وضحاها . . . أكان هذا التبدل الذى تغلغل فى صميم الأمة العربية فغير كل شىء فيها وأنشأها إنشاء جديداً لأن رجلاً قام فى مكة ، يتلو كتاباً جاء به ؟ أيقوى رجل مهما كان شأنه على مثل هذا العمل ويكون له فى تاريخ العالم ومستقبل البشرية هذا التأثير ؟

هذا هو اللغز الذى حير المؤرخين من الغربيين ، ولم يعرفوا له حلاً معقولاً !

على حين أن الأمر واضح والسبب ظاهر ، ذلك أن هذا الأمر لم يكن عمل رجل عظيم من عظماء الناس ، ولكنه عمل الله جلّت قدرته ، أظهره على يد سيّد أنبيائه ، وخاتم رسله ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ذلك أن « الفتح الاسلامى » معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم

* * *

هذا وإن من الخطأ أن نعدّ الفتح الاسلامى ، مثل ما نعرف من فتوح الأمم المختلفة فى الأعصار المتباينة ، لأن للفتح الاسلامى طبيعة خاصة به تجعله ممتازاً عن سائر الفتوح ، وتنشىء له فى التاريخ باباً خاصاً ، ذلك أن كافة الفتوح إنما كانت الغاية منها ضمّ البلاد المفتوحة إلى أملاك الفاتحين ، والانتفاع بخيراتها ومواردها ، لا نعرف فتحاً يخرج عن هذا المبدأ إلا الفتح الاسلامى ، فلم تكن الغاية منه ضمّ البلدان الى الوطن الاسلامى . وامتصاص دماء أهلها وأموالهم ، واستغلال مواردها الطبيعية وخيراتها ، ولكن غايته نشر الدين الاسلامى ، والسعى لاعلاء كلمة الله ، وإذاعة هدى القرآن فى الأرض كلها ؛ فكانوا كلما وطئوا أرضاً عرضوا على حكومتها وشعبها الاسلام ، فأن قبلوا به واتبعوه ونطقوا بكلمة الشهادة انصرفوا عنهم وعدوهم إخوانهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين أمير المؤمنين وآخر مسلم فى أقصى الأرض ؛ كلهم سواء فى الحقوق والواجبات [1] ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . وإن لم يقبلوا بالاسلام عرضوا عليهم الجزية ، وهى أقل بكثير مما كانوا يدفعونه الى ملوكهم وأمرائهم ، وسموهم ذميين لهم ذمّة المسلمين ، وأعطوهم الحرية فى أمور دينهم ودنياهم ، وتعهدوا لهم بالأمن الداخلى والخارجى . وإن أبوا أن يعطوا الجزية حاربوهم . . . ثم لم يكرهوا أحدا على الاسلام ، لأن فى صحة الاسلام وفوائده فى الدنيا والآخرة ما يغنى فى الدعوة اليه عن السيف . وما (دين محمد دين السيف) كما يهتف العامة والجاهلون ، ولكنه دين العقل والمنطق والعلم ، ، والمسلمون عامة دعاة مرشدون ، ولكنهم دعاة أقوياء ، يحملون القرآن بيد ، والسيف بالأخرى ، فمن قبل فما كانوا ليحاربوه ، ومن أبى وحاربهم أدّبوه حتى يرجع الى الحق ، ويجنح الى السلم

ثم إن معاملة المسلمين للذميين ، ووفائهم بعهودهم ، وصدق وعودهم وكرمهم وتسامحهم الذى شهد به الأصدقاء والأعداء ؛ وصار أشهر من أن يذكر ما يؤكد طبيعة « الفتح الاسلامى » ويرفعه عن أن يقاس به فتح آخر !

وهذه هى التواريخ فاستقروها واحكموا !

(بغداد) على الطنطاوى

(١) فى كتاب (عمر بن الخطاب) هذا فصل عن طبيعة الحكومة الاسلامية وحقيقة الخلافة فليراجع

كتاب أنساب الأشراف

للبلاذرى

للدكتور اسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

يعلم كل من تتبع حركة النشر والطبع فى الأقطار الشرقية فى العصر الحديث أن كثيرا من المصنفات العربية العظيمة الشأن إنما نشرت بوساطة العلماء المستشرقين ؛ ومما لا شك فيه أن هذه العناية المفرطة إنما كانت من الأسباب الباشرة التى ساعدت على نمو النهضة العلمية فى الديار العربية

كلنا نعلم أن كتاب السيرة النبوية لمحمد بن اسحق من رواية عبد الملك بن هشام طبع للمرة الأولى سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ بوساطة العالم ويستنفلد ، وكذلك تولى العلامة دى غويه بمعونة علماء آخرين طبع كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى فى ليدن من سنة ١٨٧٦ ، وكذلك طبع نخبة من المستشرقين كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد من سنة ١٩٠٥ — ١٩٢١

وكذلك طبع كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجى خليفة من سنة ١٨٣٥ — ١٨٥٨ بمدينتى ليدن وليبسيك ، وكان ذلك تحت إشراف العالم فليجل ، وهو الذى تولى طبع كتاب فهرس ابن النديم من سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

وليس هذا المقام مقام احصاء كل ما طبع العلماء المستشرقون ، وإنما سردت بعض الكتب القيمة العظيمة القدر التى لا نتصور حركاتنا العلمية ونهضتنا الأدبية دون الرجوع الى هذه المصادر الهامة

وهناك أمر آخر له خطره فى أمر نشر المصنفات العربية بوساطة المستشرقين وهو أنهم أساتذة لنا ، معشر الشرقيين ، فى إخراج المطبوعات على الطريقة العلمية الجدية ، إذ هم ليسوا طابعين وناشرين فحسب كما اعتدنا أن نرى من الناشرين للمؤلفات عندنا ، بل هم يميلون الى المراجعة بعناية ، والمقابلة بما ورد فى الكتاب الذى أمامهم بالمصادر والمراجع الأخرى ، ويذيلون مطبوعاتهم بحواش هى غاية فى الدقة والخطورة فى أغلب الأحوال

وقد لاحظنا أن بعض الناشرين عندنا عمدوا إلى إعادة طبع ما طبعه المستشرقون فى أوربا ، ولكن مع الأسف الشديد جاء عملهم ماسخاً لما عمله المستشرقون مشوهاً له ؛ إذ كانت الطبعة الثانية غير مضبوطة ، كثيرة الأغلاط ، فاحشة الأخطاء

على أن بعض الأفراد ممن تثقف فى أوربا ، وممن اتصل بالحركة العلمية الأوربية قد بدأ ينشر بعض المصنفات العربية على الطريقة المألوفة عند الافرنج ، وخصوصاً ما ظهر من الهمة والعزيمة فى نشر الكتب تحت إشراف دار الكتب المصرية ، فلا شك أن عمل دار الكتب يعد صفحة بيضاء جديدة فى تاريخ نشر الكتب والعرفان فى الشرق . على أننا نريد أن نقول لدار الكتب كلمة صريحة نؤجلها إلى فرصة أخرى إن شاء الله

ذكرت ذلك بمناسبة تولى المعهد الشرقى بالجامعة العبرية بالقدس نشر كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى الذى ظهر منه فى الآونة الأخيرة الجزء الخامس

ذاع صيت احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى العصور الأخيرة بوساطة كتابه الصغير فتوح البلدان الذى أقدم العالم دى غويه على طبعه سنة ١٨٦٦ بمدينة ليدن . أما مصنفه العظيم المذكور فى معجم ياقوت الحموى باسم أنساب الأشراف (معجم الأدباء ج ٢ — ص ١٣١) أو كما سماه ابن النديم بكتاب الأخبار والأنساب (فهرس ص ١١٤) أو كما يقول الشريف المرتضى (الشافى ص ٢٦٠ ، ٦٨٨) كتاب البلاذرى ، أو كما يشير ابن عساكر إلى البلاذرى ويصفه بصاحب التاريخ (تاريخ دمشق ص ١٣١)

وهو الكتاب الذى ارتشف من منهله المتقدمون والمتأخرون ممن جاءوا بعد البلاذرى من كبار الأدباء والمؤرخين والجغرافيين مثل الشريف المرتضى الذى توفى سنة ٤٣٦ ، وابن عساكر الذى توفى سنة ٥٧١ ، وياقوت الحموى الرومى الذى توفى سنة ٦٢٦ ، والنويرى الذى توفى سنة ٦٣٣ ، وابن خلكان الذى توفى سنة ٦٨١ ، وابن حجر العسقلانى الذى توفى سنة ٨٥٢ ، وابن تغرى بردى الذى توفى سنة ٨٧٤ . أما هذا الكتاب فقد توارى عن العيون فى العصور الأخيرة ومر عليه العلماء مر الكرام حتى أصبح

نسياً منسياً إلى أن جاء العالم أهلوارت فى سنة ١٨٨٣ وأخرج جزءاً منه كان يشك بعض العلماء فى صحة نسبه إلى البلاذرى . ثم حدث أن أعلن الأستاذ بيكر (C. H. Becker) فى مؤتمر المستشرقين الثالث عشر أنه عثر على نسخة كاملة من كتاب أنساب الأشراف فى الآستانة ولم يحفظ الدهر لهذا الكتاب نسخة كاملة غيرها ؛ وكان قد عقد النية على نشر الكتاب ولكن كبر حجمه من ناحية ومشاغل الأستاذ بيكر من ناحية أخرى عاقته عن المضى فى تحقيق هذا المشروع إلى أن اقترح عليه الأستاذ جولدتهلد ويل الذى كان مديراً للقسم الشرقى من مكتبة برلين الكبرى على العلامة بيكر أن يعرض مشروع طبع أنساب الأشراف على هيئة تدريس اللغة العربية فى الجامعة العبرية بالقدس ففعل

* * *

أما المخطوط من هذا الكتاب فيشتمل على ١٢٢٨ صفحة ، وهو أكبر حجما من الطبقات الكبرى لابن سعد أو أقل قليلاً من كتاب التاريخ لابن جرير الطبرى ؛ وهو بحث مفصل فى أنساب العرب يبدأ دراسته بالتاريخ القديم من عهد نوح وذريته إلى سيدنا ابراهيم خليل الله وأعياصه ، ثم ينتقل إلى قريش وبنى هاشم ويبحث فى أصلهم وفصلهم ، ثم يقص سيرة الرسول وأخبار على بن أبى طالب وما جرى فى عهد الخلفاء الراشدين ، ويفصل تفصيلاً كثيراً مطولاً تاريخ بنى أمية حتى تشتمل أخبارهم على ثلث الكتاب بأجمعه . ومع أنه كان من الموالين لبنى العباس وكان يشغل منصباً رفيعاً عند خلفائهم فان ما ورد بشأنهم من الحوادث والأخبار لا يتجاوز سبعين صفحة من المخطوط الكبير

وكذلك يوجه عناية شديدة إلى قبائل مضر الآخرين فيتعرض لأنساب كنانة وأسد وهذيل وعبد مناة ومزينة وتميم وقيس وذبيان وفزارة وعبس وهوازن وسليم وثقيف

ولم يذكر قبائل ربيعة واليمن لأن المنية عاجلته عن اتمام كتابه إذ لقى حتفه فى أوائل عهد الخليفة المعتضد سنة ٢٧٩ (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٤)

ومع أن هناك مصنفات فى أنساب العرب قبل البلاذرى إذ كان محمد بن هشام الكلبى الذى توفى سنة ٢٠٤ قد وضع كتابه جمهرة الانساب والهيثم بن عدى ألّف مصنفاً فى تاريخ الأشراف وهو ممن توفى فى أوائل القرن الثالث فان كتاب انساب الأشراف للبلاذرى يعد فى الذروة مما وصل إليه الأدب التاريخى عند العرب فى الأنساب

والبلاذرى لم يكتف بجمع الأخبار من مصنفات من سبقه بل جمع كثيراً من الأخبار من السجلات الرسمية التى كانت فى خزائن الدولة ؛ وهو على ميله إلى العباسيين لا يظلم بنى أمية بل يقص عنهم أخباراً كثيرة تدل على أن له حنكة المؤرخ الذى يتغلب على شعوره ويتجرد عن أهوائه ، وذلك أمر لابد للمؤرخ المنصف منه

* * *

والكتاب الذى طبع الآن ليس الجزء الأول بل الخامس منه ، إذ وزعت صفحات المخطوط على جملة من العلماء لم يتمكنوا إلى الآن من اتمام العمل الذى كلفوا أن يقوموا به

وكان الجزء الخامس قد وكل أمر العناية به إلى الأستاذ س . د . جويتاين وهو الآن فى العقد الرابع من العمر تخرج من جامعة فرنكفورت بألمانيا وكان من خيرة تلاميذ الأستاذ المرحوم يوسف هورفيتس واختاره للتدريس بالجامعة العبرية بالقدس

وقد بذل الأستاذ جويتاين جهده مدة سنين كثيرة فى مراجعة صفحات المخطوط وأخرجه بعد عناء ومشقة على النسق المألوف عند كبار المؤلفين من المستشرقين مع مقدمة علمية بحث فيها الناشر فى أصل تسمية الكتاب وما يحتوى عليه مع مقارنة بين من سبقه وبين من أتى بعده من المؤرخين وبين ما أخذه ممن كان قبله ومن أخذ عنه ممن جاء بعده

ومما يؤسف له أن هذه المقدمة النفيسة قد وضعت بالعبرية من ناحية ، وبالترجمة الانجليزية من ناحية أخرى ، وقد اكتفى الناشر بكلمة موجزة بالعربية . كان من الواجب أن يصدر بالمقدمة العربية قبل كل شىء ، لأن الكتاب عربى موجه إلى الناطقين بالضاد قبل غيرهم ، وإذا كان جمهرة من العلماء الافرنج يدرسون كتاب أنساب الأشراف فهم يستطيعون أن يدرسوا المقدمة بالعربية أيضا

وكذلك أقول عن الذيل الذى وضع بالانجليزية كأن

٨ ـ تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن محمد حبشي

الفصل الأول

وقد استمر إرياط يتوغل في اليمن بعد موت ذي نواس الحميري « فقتل ثلث رجالها وخرب ثلث بلادها ، وبعث إلى النجاشي بثلث سباياها ، ثم أقام بها فضبطها وأذلها [1] ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبش ، وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى إرياط « إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ، فابرز لي وأبرز لك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده » فقبل أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحماً حادراً وكان ذا دين في النصرانية ؛ وخرج إليه ارياط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً ، فرفع إرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فسمي أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عَتُودَة على إرياط فقتله ، فملك أبرهة ، ثم كتب الى النجاشي : « أيها الملك إنما كان إرياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك ، وكلٌّ طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى منه على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب من تراب أرض اليمن ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه » فثبته النجاشي . ثم إن أبرهة بنى «المكيس» بصنعاء لم ير مثلها في زمانها ، ثم كتب إلى النجاشي : « إني قد بنيت لك كنيسة ولست بمنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب » فلما كمت الألسن ذلك فقام رجل من بني فُقَيم : فخرج إلى المكيس فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه » ولكن الفشل الذريع الذي منيت به هذه الحملة التي وقعت عام الفيل (سنة ٥٧٠ م) لم يحرر بلاد اليمن في الحال من نير الأحباش ، إذ أن ولدي أبرهة يكسوم ومسروق كانا عبئاً ثقيلاً على العرب فنجوا منه . وقام في ذلك الحين أحد أشراف حمير واسمه « سيف بن ذي يزن » مستحثا الهمم ، ولكن ضاعت دعوته إياهم أدراج الرياح . ولما لم ير مساعدة من قومه وجه وجهه شطر الاستعانة بغوث أجنبي ، وتردد بين قيصر الروم وكسرى فارس ، فمضى أولاً الى القسطنطينية فردّه القيصر خائباً ، فطلب من والي الحيرة العربي الذي كان خاضعاً لفارس أن يقدّمه الى بلاط المدائن ؛ ولكن كيف استطاع أن يكسب عطف الملك الساساني أنو شروان الملقب بالعادل حتى أرسل معه ثمانمائة مقاتل من نزيلي السجون ممن أطلق سراحهم ؟ وكيف أبحروا معه الى اليمن وعلى رأسهم قائد طاعن في السن ؟ وكيف أحرقوا سفنهم واستمدوا من اليأس قوة ، وكيف هزموا الأحباش هزيمة منكرة وطردوهم واستردوا اليمن وجعلوها ولاية فارسية [1] . . . كل هذا يسوقنا الى سرد قصة طويلة آثرت تخطيها وإغفالها في مثل هذا المجال ، لأنها تتصل بتاريخ الفرس أكثر من اتصالها بتاريخ الأدب العربي ، تلك الأمور التي قامت — كما رجح نلدكه — على أخبار لقنها الغزاة الفرس الذين

(١) وفي ذلك قال بعضهم ذاكراً ما ساق إليهم دون ذو شعبان من أمير الحبشة : « لا كدوس ولا أعلاق رخله » (المترجم)

الكتاب إنما كان موجهاً إلى العلماء الغربيين لا للأندية المثقفة من أبناء الشرق أيضا

وإني أوجه أنظار الأساتذة العاملين على إخراج بقية أجزاء الكتاب ألا يتورطوا فيما تورط الأستاذ جويتاين من مسألة المقدمة والذيل التي أغفل فيهما العربية إغفالاً يكاد يكون تاماً

والذي نتمناه من صميم الفؤاد أن يبادر بقية العلماء القائمين بمراجعة الكتاب باخراج الأجزاء الأخرى حتى يستفيد العالم العربي عاجلاً من كتاب أنساب الأشراف الذي يعد بحق من أمهات المصادر لكل من يبحث في عصر ظهور الاسلام وفجره وضحاه

اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)

(١) يجد القارئ بياناً وافياً وتفصيلا شاملا لهذه الأمور كلها في كتاب تاريخ الفرس الأدبي Lit Hist of Persia للاستاذ براون ج ١ ص ١٧٨ — ١٨١

استوطنوا اليمن لأبنائهم الأشراف ، الذين يسميهم العرب الأبناء أو بنى الأحرار

وإنا لنترك الآن مملكة اليمن وقد تهاوت دعائم قوتها ودالت دولتها وسقطت من علياء مكانتها الى الأبد ، ونعود ناحية الشمال فى دراسة التاريخ العربى :

الفصل الثانى

تاريخ العرب الوثنيين وأساطيرهم

يسمى المسلمون الفترة الواقعة منذ فجر التاريخ العربى حتى ظهور الاسلام بالجاهلية ، وقد ورد هذا اللفظ فى أربع فقرات فى القرآن ، ويقصد به عادة « الجهل » ، وإن كان جولدزيهر قد أوضح أن المدلول الذاتى لكلمة « جهل » (الذى اشتقت منه الجاهلية) عند شعراء ما قبل الاسلام لا يقصد به « عدم المعرفة » أو « الوحشية » و « الهمجية » ، وليس المعنى المضاد لكلمة « علم » ، ولكنه عكس معنى حلم المعبّر عن التهذيب الأدبى عند الرجل المثقف . « وحينما يقول المسلمون إن الاسلام قضى على طبائع وعادات الجاهلية فانهم يقصدون بذلك العادات المستقبحة ، وهذا الخلق الهمجى الذى تفترق به الوثنية عن الاسلام ، وبالمستهجن من الطباع التى جدّ محمد (ص) فى استئصالها من نفوس قومه : كحمية الجاهلية ، والعصبية القبلية ، والجد فى طلب الثأر ، والحقد ، وغير هذا من طبائع الوثنية المستهجنة التى قضى عليها الاسلام »[1]

وإن المصادر التى نستمد منها صورة حياة هذه الفترة لتندرج تحت أربعة أبواب كما يلى :

(١) القصائد والمقطعات الشعرية التى وإن لم تكن قد دونت فى ذلك الحين إلا أنها ظلت محفوظة بالرواية الشفهية ، ثم كتب معظمها بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون ، وهى فى الحقيقة الأثر الوحيد الذى بين أيدينا عن تاريخ العصر السابق للاسلام ، وتتضح أهميتها من القول المأثور « إن الشعر ديوان العرب وجامع شتات المحاسن التى سلفت لهم » وسيرى القارئ فى الفصل التالى بعضاً من الشعر العربى فى تلك الفترة

(٢) الأمثال وهذه أقل قيمة من الشعر ، إذ قلما تفسر نفسها بينما يكون الشرح المرفق بها من عمل الأدباء الذين يدأبون على تفسيرها ، ولو أنه فى حالات عدّة يُؤتى بمعانيها ومقصودها على سبيل الحدس ، كما نسيت الظروف التى بعثتهم على إرسالها ، وبالرغم من هذا فقد كنا نخسر شيئاً جسيما لو لم تكن بين أيدينا المجاميع الشهيرة للمفضل بن سلمة[1] (المتوفى حوالى ٩٠٠ م) والميدانى[2] (١١٢٤ م) التى تضمنت إشارات عجيبة وأخباراً تلقى بصيصاً من النور على كل جوانب الحياة التى سبقت ظهور الاسلام

(٣) الأخبار والأقاصيص : لما لم يكن للعرب الوثنيين — على العموم — معرفة بفن الكتابة الخطية واستعمالها فقد كان من المستحيل أن تقوم للنثر — باعتباره فناً أدبيا — قائمة فيهم ، ومع ذلك فان بذور النثر الأدبى يمكن إرجاعها الى عصر الجاهلية ، وعدا المثل والخطبة نجد عناصر التاريخ والقصة فى القصص النثرى الذى كان يقدمه الحفاظ والرواة لتوضيح موضوع أغانيهم ، وفى القصص التى تعدّد مآثر القبائل وأبنائها . وإن العدد الوفير من هذه القصص (التى يرجع بعضها الى أصل حقيق والآخر يحمل طابع الخرافة) لثبوت فى ثنايا المؤلفات الأدبية والتاريخية والجغرافية التى وُضعت أيام الدولة العباسية وخاصة فى كتاب الأغانى[3] لأبى الفرج الأصفهانى (٩٦٧ م) وهو مجموعة ثمينة قامت على دراسة الشخصيات[4] الأدبية الكبيرة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة . وقد ضاعت الكتابات الأولى لهؤلاء الأدباء والنقاد دون استثناء ، ولولا اقتباسات الأغانى الكثيرة لما كان فى متناول أيدينا نماذج من آثارهم . ويقول ابن خلدون عن هذا السفر : « إن أبا الفرج جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب

(١) Goldziher Muhammedanische Studien, Part I, P. 225.

(١) لقد أصبحت مجموعة أمثال المفضل بن سلمة الكوفى المسماة « بالفاخر » فى متناول اليد إذ طبعها طبعة أنيقة مستر C. A. Stotey فى ليدن ١٩١٠

(٢) طبع أمثال الميدانى وترجمتها اللاتينية Freytag فى ٣ مجلدات (طبعة Bonn ١٨٣٨ — ١٨٤٢ م) تحت اسم Arabum Proverbia

(٣) طبع كتاب الأغانى فى بولاق مصر (١٢٨٤ — ١٢٨٥ هـ) فى عشرين مجلدا ، وقد أضاف اليها Brünnow مجلدا بأسماء الأعلام الذين ترجم لهم أبو الفرج فيه ، وهو مطبوع فى ليدن عام ١٨٨٨ م . وتقوم دار الكتب المصرية حديثا بطبع الأغانى طبعة منقحة مع ملاحظات نقدية

(٤) هكذا يسميهم سير شارلز ليل

وأوفاه ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلم وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب ويقف عندها [1]

ولن أحاول فى الصفحات التالية أن أضع فى ترتيب واتصال هذه الأشعار والقصص المضطربة التى رسخت فى الأذهان واندس بين ثنايا جميع ما نعرفه عن بلاد العرب فى العصر السابق للاسلام ؛ إذ أنجز هذا خير إنجاز وفى دقة عجيبة كوزان دى برسيڤال [2] فى كتابه : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme وليس هناك ثمت جدوى مطلقاً من أن أسوق للقارئ موجزاً مقتضباً لهذا العمل القيم ، والأجدى — كما يتراءى — أن أسوق للقارئ بضع ظواهر واضحة بينة تمثل هذه الفترة كما وضعها العرب أنفسهم . وإذا كانت الأحاديث العربية بموزها الدقة التاريخية فانها فى مجموعها تكشف القناع عن الروح السائدة فى العصر المظلم الذى تستحضره من غياهب الزمن السحيق وتبرزه أمامنا

وفى حوالى منتصف القرن الثالث المسيحى كانت تتاخم بلاد العرب من الشمال والشمال الشرقى امبراطوريتان تتنافسان فى الزعامة هما دولة الروم ودولة الفرس اللتان تفصلهما صحراء الشام عن بعض ؛ ولما رأى الفرس أنهم عرضة لغزوات البدو الذين كانوا يشنون الغارات بين حين وآخر على الحدود ، ويستولون على ما يصل أيديهم من الغنائم ، ثم يختفون بنفس السرعة التى اتسمت بها إغاراتهم ، لما رأوا ذلك وجدوا الضرورة تدعوهم إلى إيجاد حامية على طول حدود هذه الصحراء ، وبهذا أمكن صدّ غزوات القبائل البدوية وغاراتها ، ولكن تبيّن أن القوة علاج غير ناجع تماماً ، فضلاً عما تكلفه الدولة ، وعملاً بالمثل القائل : « فرّق تسد Divide et impera » فقد ارتؤى ادخال بعض القبائل الغيرة فى خدمة الامبراطورية . ومما أدّى إلى عدم قيام البدو بأى اضطراب دفع شىء من المال لهم بانتظام ، واستمدادهم على الدوام للغزو الفجائى إذ كان الروم والفرس فى هذه الأيام فى حروب لا يخمد أوارها ولا يخبو ضرامها ، ومن ثم فقد حاربوا كمحالفين أحرارا تحت لواء أمرائهم أو شيوخهم . وبهذه الوسيلة ظهرت أسرتان عربيتان هما دولة الغساسنة فى سورية واللخميين فى الحيرة غرب الفرات ، وكانتا فى نزاع دائم واصطدام ونزال ، حتى ولو لم تكن تدفعهما من الخلف قوة الامبراطوريتين ، وسرعان ما ظهرت كفاية العرب الحربية ومهارتهم حينما درّبوا على الأسلحة . وفى أثناء حرب ڤاليران مع كسرى سابور الأول خرج شيخ عشيرة عربى فى « تدمر » ويدعى أذينة وسار على رأس قوة كبيرة ضد الغير ونازله وفرّق شمله وطرده من سورية واقتفى آثاره حتى ردّه الى أبواب المدائن عاصمة فارس سنة ٢٦٥م ولقد قدر الامبراطور جاليانوس Gallienus صنيعه الباهر فأنعم عليه بلقب Auguatus العظيم » ، ولقد كان فى الحقيقة السيد المطاع فى الكتائب الرومانية فى الشرق ، ولكنه قتل غيلة فى العام التالى وكان فى زوجته زينوبيا (الزباء) خير خلف ، فأخذت على عاتقها تشييد امبراطورية شرقية ضخمة ، ولم يكن نجاحها أعظم من نجاح كليوپاترا فى مثل هذه المحاولة ، ولكن حدث ما ليس فى حسبانها إذ انتصر أورليان واقتيدت « ملكة الشرق » المتكبرة أسيرة أمام عربته فى شوارع رومة عام ٢٧٤ م

(يتبع)

حسن محمد حبشى

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠) ص ٥٠٤

(٢) وقد طبع فى باريس (١٨٤٧ — ١٨٤٨) فى ٣ مجلدات

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النظريات والأوضاع الحديثة
للنظام الصناعى

تأليف ج . د . ه . كول

ترجمة الأستاذ محمد عبد البارى

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذه الرسالة ضمن سلسلة المعارف العامة

وهى تبحث فى أهم المشاكل الاقتصادية السياسية الصناعية وتعرض لحلولها المختلفة وما شرع للعمال على يد الاشتراكيين وغيرهم

وثمنه ٦ قروش صاغ عدا أجرة البريد ، ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

مرثية توماس جراى

نشر الأستاذ على الطنطاوى فى (الرسالة) عدد ١٧٨ بتاريخ ٣٠ نوفبر سنة ١٩٣٢ ترجمة لمرثية جراى الشاعر الانجليزى الشهير نقلاً عن قراءة صديقه الأستاذ حيدر الركابى ، والأستاذ الطنطاوى أديب فنان لا يشق له غبار فى كل ما يكتب ، ومن الأفذاذ الذين رفعوا رأس الأدب العربى الحديث عالياً ، ومن الملهمين الذين أراد الله لهم ولأدبهم الخلود ليؤدوا رسالة الأديب الفنان للمجتمع الذى يعيش فيه . ومما لا شك فيه أن الأستاذ الطنطاوى يؤله أن يقوم إنسان فيغير على آثاره الأدبية يترجمها ويقول على لسانه شيئاً لم يقله ، أو يشوه أفكاراً وتعابير خالدة فى فنه . ومما لا شك فيه أيضاً أن المترجم يحمل أمانة فى عنقه لمن يترجم عنه ، وعليه أن يؤديها غير منقوصة ، وألا ينقل إلا الواقع وإلا ما أراده ذلك المترجم عنه . وعندى أن الأستاذ لو ترجم المرثية عن أصلها لبان له من روحه الفنانة وإخلاصه ما يجعل ترجمته فى دقتها تقف فى صف واحد مع ترجمة جرالد للرباعيات الخيامية المشهورة . ولو كانت صفحات الرسالة تتسع لأكثر من هذا المقدار لقدمت أمثلة على عدم دقة النقل ؛ والذى يراجع الأصل لا يجد صعوبة فى اكتشاف ذلك وهو كثير . على أن الواقع يدفعنى إلى تقديم الشكر للأستاذ الطنطاوى على الاجادة التى لا تجارى فى ترجمته التى كادت أن تقرب من الكمال . وإنا لنرجو أن يتبارى الشعراء فى نقل هذه القطعة الخالدة إلى الأدب العربى شعراً بالرجوع إلى الأصل مع الاستعانة بترجمة الأستاذ المذكورة

وزيادة لفائدة القراء رأيت أن أذكر مختصراً لحياة الشاعر توماس جراى وعن الظروف التى رافقت نظم تلك المرثية

توماس جراى Thomas Gray

ولد فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٧١٦ فى كورن هل (Cornhill) ، حيث كانت والدته وشقيقها يتجران بقبعات السيدات ، وكان والده فيليب جراى كاتب عقود رسمية ، وكان هو الوحيد الذى عاش من أسرة عدد أفرادها إثنا عشر شخصا . وفى سنة ١٧٢٧ التحق بكلية إيتون حيث كان عمه مدرساً مساعداً فى تلك الكلية ، وهناك نشأت صداقته المتينة مع ريتشارد وست ، وهوراس ولبول ، وتوماس اشتون

وترك كمبردج فى السنة التالية دون أن ينال أجازة علمية ؛ ورحل فى عام ١٧٢٩ إلى القارة مع صديقه الحميم هوراس ولبول فى رحلة استغرقت ما يقرب من التسعة أشهر ، وعاد بعدها الى لندن . وفى سنة ١٧٤١ توفى والده فانتقلت والدته وشقيقتها إلى المعيشة مع أخت ثالثة اسمها مارى فى مقاطعة بكنجهام شير (Buckingham Shire) ، وهناك نظم أول قصيدة عنوانها اجريبينا (Agrippina)

وفى عام ١٧٤٢ مات صديقه ريتشارد وست ، فرثاه رثاء مؤثراً . وفى هذه السنة عاد إلى كمبردج وبقى مدة سنتين حصل فى نهايتهما على درجة بكلوريوس فى الحقوق

وبعد ذلك بخمس سنوات توفيت خالته مارى وأحرق منزله فى كورن هل

وفى عام ١٧٥٠ أكمل مرثيته التى نحن بصددها ، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفيت والدته . وفى سنة ١٧٥٧ عرض عليه أن يكون شاعر العرش البريطانى الذى خلا بموت كولى سيبر (Colley Cibber) فرفض ذلك . وبعد ذلك بخمس سنوات عرض نفسه ليكون مدرساً للتاريخ بدلاً من الدكتور ترنر المتوفى فى تلك السنة ، ولكن اللورد بيوت حال بينه وبين هذه الأمنية التى نالها بعد ثمانى سنوات

وفى سنة ١٧٦٥ زار اسكتلندا وهناك عرضت عليه جامعة أبردين Aberdeen أن تمنحه لقب دكتور فى الحقوق فرفض ذلك مستنداً الى أن دراسته فى كمبردج لا تؤهله لقبول مثل هذا اللقب . وبعد ذلك بأربع سنوات نظم نشيده المشهور Ode fo music الذى مُثّل عند تولية دوق جرافتون رئاسة الجامعة التى كان يدرس فيها التاريخ الحديث ، وزار فى تلك السنة منطقة البحيرات

وفى سنة ١٧٧١ توفى فجأة بينما كان يتناول طعام الغداء ، الى جانب والدته فى ساحة الكنيسة فى Stoke Poges فى مقاطعة بكنجهام شير

هذا مختصر لحياة هذا الشاعر . وفيما يلى وصف لظروف المرثية :

Elegy Written in a Country Churchyard

ابتدأ فى نظم هذه المرثية فى عام ١٧٤٢ ولكن القسم الأعظم منها كتبه بين السنوات ١٧٤٦ — ١٧٥٠ ، وقد أتمها فى اليوم الثانى عشر من شهر يونيه سنة ١٧٥٠ ، وفى العاشر من فبراير أرسل إليه رئيس تحرير مجلة المجلات الانجليزية Magazine of Magazines يستأذنه فى نشرها فى مجلته فرفض طلبه . وعند ذلك أسرع وطلب إلى صديقه هراس ولبول أن ينشرها على الناس دون إمضاء . وفى السادس عشر من نفس الشهر طبعت فى كراسة بعنوان « مرثية كتبت فى ساحة كنيسة قرية » مع المقدمة التالية من ولبول : « لقد وقعت القصيدة التالية فى يدى مصادفة ، إذا جاز أن يدعى انتشار هذه القطعة وذيوعها بين الناس عرضا . إن الاستحسان الذى صادفته هذه القصيدة سيجعل اعتذارى لمؤلفها فى غير محله ، لأنه ولا شك يشعر باغتباط شديد لاعجاب الناس وسرورهم بها فيما مضى . ومما لا شك فيه أيضاً أنه سيغفر لى جرأتى على النشر ، لأشاركه تقديم المسرات لمدد آخر غير قليل »

وهناك ثلاث نسخ بخط الشاعر جراى نفسه محفوظة حتى اليوم . فالأولى كانت سابقاً ملكا للسير W. Fraser وهى الآن فى كلية ايتون ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الأصلية . والثانية تخص Wharton ورتون وهى موجودة فى المتحف البريطانى تحت الرقم (٢٤٠٠) . والثالثة فى كلية بيمبروك Pemdroke وفى آخر هذه النسخة كتب جراى بخطه أيضاً ما يأتى : « نشرت فى فبراير سنة ١٧٥١ بواسطة دوزلى وأعيد طبعها أربع مرات شهرين ، وبعد ذلك طبعت الطبعة الخامسة حتى الحادية عشرة . وأعيد طبعها فى ١٧٥٣ بواسطة مستر بنتلى ثم ترجمت الى اللاتينية وطبعت فى عام ١٧٦٢ »

(نابلس) ف . . . .

الثقافة والأنتاج العلمى
فى فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا يختلف اثنان فى أن الوضع الحاضر فى فلسطين شاذ وغير طبيعى وهو غيره فى الأقطار الشقيقة المجاورة ، فالكل يقاسى آلاماً مبرحة من الاستعمار والمستعمرين ، والكل واقع تحت نير الاستعباد والعبودية ؛ ولست واجداً أحداً يرضى عن السياسة المتبعة فى بلاده وعما يجرى حوله ، إلا أن هناك فرقاً بين فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة ، ففى هذه جبروت واحد وطاغية واحد ، وهنا جبروتان وطاغيتان قد تسلحا بالخبث والمكر والقوة والدهاء ، وعلى هذا فالمصيبة هنا أعظم والبلاء هنا أعم والخطر محدق والفناء يتهدد

ومن الطبيعى أن بلاداً هذه حالها لا تكون صالحة للانتاج العلمى ولا لازدهار الثقافة والأدب بالمعنى الواسع . ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الأوضاع على الشباب المثقف وعلى الأدباء والعلماء فتأخذ قسما من أوقاتهم ومجهوداتهم وتفكيرهم يصرفونها فى مبادئ السياسة لدرء الأخطار المحدقة ، ولتخفيف المصائب المنصبة علينا انصباباً من كل جانب . وكيف يمكن لثقافة أن تنمو ، ولقريحة أن تنتج وتبتدع إذا لم تكن تلك القريحة فى جو من الحرية ، وفى محيط خال من القيود والاغلال ليس فيه من يسخرك لمنافعه ومصالحه ، وليس فيه من يسعى للقضاء على معنوياتك ، وعلى قتل الطموح فيك ؟

وكيف يمكن لشاب أن يعكف على العلم بقصد الاستزادة والاكتشاف والبحث والاستقصاء إذا لم يكن هناك من يساعده ويشجعه ويأخذ بيده ؟ فكيف به إذا وجد فى محيط كله تثبيط للهمم ، وكله إحباط للعزائم ؟ . وإذا تتبعنا الطرق التى تسير عليها الحكومات المستعمرة فى مختلف دوائرها ، ولا سيما المعارف منها نجد أنها ترمى إلى القضاء على روح الطموح ، على روح البحث وحب الاستزادة من العلوم والفنون ؛ ترمى إلى خلق روح الاعتماد فى المناشئة على الغير ، إلى إماتة الروح الوطنية ،

وبث روح الاستهتار بالتراث العربي والاسلامي وانتقاصهما بشتى الوسائل ، وفوق ذلك نجدهم (المستعمرين) يشغلون أوقات الناس والموظفين في أمور ليس فيها متاع ، وليس فيها ما يعود على البلاد بخير أو انتفاع . فمن الطبيعي إذن — هنا وفي البلاد المرزوءة بالاستعمار — أن الحكومات فيها لا تشجع العلم ولا تحث على متابعته ، ولا على إيجاد رغبة صادقة في التأليف والبحث على الرغم من حاجة الأمة إلى كل ذلك . وإذن فلا محل لغرابة الكثيرين في موقف الحكومة تجاه المؤلفين وتجاه الذين يلاحقون فروعهم في العلم والفن ، بل الغرابة كل الغرابة في حسن ظن هؤلاء الكثيرين بالحكومات المنتدبة والاعتماد عليها في تشجيع الناس في التنوير والتقدم وقد جهلوا أو تناسوا أن هذه الحكومات تسير على برنامج استعماري خاص من شأنه أن يقضي على كل ما من شأنه رفع مستوى الأمة ورقيها . لهذا وجب على العلماء العرب أن يلتفتوا إلى هذه الناحية ، وأن يعيروها بعض اهتمامهم ، وأن يعتمدوا على أنفسهم قبل كل شيء ، وأن يأخذوا من موقف الحكومات قوى تحفزهم إلى توسيع الحركة الثقافية في فلسطين وغيرها ، ونشر روح البحث والاستقصاء بين المثقفين ، ويقضي الواجب الوطني على الشباب العامل والأساتذة أن ينحوا في تعليم الناشئة وتثقيفها ناحية قومية وطنية ، وقد يجدون في هذا صعوبة ، وقد يصادفون أمامهم عقبات ، ولكن عليهم أن يجاهدوا ويصرفوا بعضاً من مجهوداتهم في التغلب على ذلك ، وفي توجيه التعليم والثقافة توجيهاً يخلق في النشء روح الاعتزاز بالقومية وروح الاعتقاد بالقابلية ، يخلق في الناشيء شخصية قوية وكياناً مستقلاً ورجولة مستعدة لتلبية نداء الوطن قادرة على المساهمة في خدمة الحضارة . ويقضي الواجب الوطني على الباحثين أن ينحوا ببحوثهم الناحية القومية ، وأن يبينوا للناشئة فضل العرب الكبير على المدينة ، وقد تبوأوا مركزاً سامياً لم يتبوأه غيرهم أيام كانوا سائرين على النهج القويم الذي وضعه الرسول وصحبه وخلفاؤه ، أيام كان الاهتمام باللباب دون القشور ؛ بهذا وحده يمكن أن تنشيء الأمة شباباً مؤمنين عاملين على رفع مستوى البلاد ، شباباً مثقفين ثقافة قومية وطنية يعرفون كيف يخدمون الوطن . وهذا هو أقوى سلاح يمكن أن تمد به الأمة الناهضة ليساعدها على خوض غمار هذه الحياة عالية الرأس موفورة الكرامة ، وعلى نيل ما تبتغي من عز وسؤدد .

وقد يسر القراء الكرام أن يعلموا أن هناك مساعي جدية للشروع في أعمال مشتركة تقوم بها جماعات مثقفة تأخذ على عاتقها الاشتغال في ناحية خدمة الأمة عن طريق بث الثقافة والتعليم القومي ، عن طريق بث الثقافة العربية والاسلامية ، عن طريق تشجيع ذوي العقول النيرة والقرائح الخصبة في توجيه بحوثهم ونتاجهم في العلم والفن الى ناحية قومية وطنية . وقد قام جماعة في نابلس من الشباب المثقف بانشاء ناد ثقافي أطلقوا عليه اسم (النادي الثقافي) غايته هي : « إيجاد روابط وصلات بين المتعلمين ، والعمل على تأليف قلوبهم وتوحيد جهودهم العلمية والأدبية وتوجيهها توجيهاً قومياً ، ورفع مستوى البلد الثقافي والأدبي بطرق مختلفة عملية أهمها المحاضرات والحلقات العلمية وإيجاد مكتبة حافلة بالكتب القيمة .. » وسيجد الناس في هذا النادي وطنية عملية ستعود على البلاد بفوائد جليلة . وكذلك هناك جماعات في نابلس والقدس ويافا وحيفا وبقية البلاد تفكر في مشروع إنشاء لجنة ترجمة وتأليف ونشر على غرار لجنة مصر . والذي نرجوه أن توفق هذه الجماعات في مشاريعها الثقافية ، وأن تأخذ بيد الأمة الى حيث التقدم والمجد ومعارج القوة والعظمة

(نابلس) قدري حافظ طوقان

أحمد سعد الهواري

يقدم لكم في أول يناير هدية السنة الجديدة :

المسرحية الشعرية الخالدة

الرداء الأزرق

عصرية : تحل مشكلة من أهم مشاكل العصر الحاضر

مصرية : موضوعها من صميم الحياة المصرية ، تحمل الطابع المصري الأصيل ، عنوان المسرح المصري الناضج ، المسرح المصري الصميم أروع ما يكون الفن ، وأسمى ما بلغ الشعر

(طبعة فخمة ثمنها ٤ قروش ويطلب من المكاتب الشهيرة)

عنوان المؤلف : منشاة المناقلة ، ملوى

كبرياء الألم

وراحة النفس في الشكوى ولذتها
لو أمكنت ، لا تساوى ذلة الشاكى
« أسامة بن منقذ »

للأستاذ أمجد الطرابلسى

أتظلُّ تخفق فى الأضالع واهيا ... يا قلب حسبك! ان ترانى شاكيا
يا ذلة الباكى ! إذا أعداؤه ... شمتوا بهُ ، والخِل أصبح رائيا.
يا ذلة الباكى ! لَجرحى لاهِياً ... أرضى لنفسىَ يا خفوق ونارِيا
اكتم لهيبك ما تقسمك الأسى ... لا يرخصن بكاك جرحاً غاليا
واشمخ بأنفك فى الخطوب ولا يكن
غلف القلوب أشـــد منك تعاليا

وأتكرم الألم المخلِّد ، ولتكن ... بلظى تـكتمه الضلوع مباهيا
فالـكون تضحكه الدموع إذا جرت !
أتظـل تضحك ذا الزمانَ اللاهيا ؟

والمجد للألم الدفين على المدى ... لا للذى يؤذى المسامع باكيا
والوجـد أنبله كمينٌ صامت ... وأجله ما كان جُرحاً خافيا
كنز من الالهام لا تلقى له ... بين الـكنوز مشابهاً ومساويا
يهب الجلال لمن يطيق صيانه ... والعبقرية والشناء الباقيا
يا أصدقائى النائحين تجملوا ! ... لا تصبحوا بين الأنام ألاهيا
تبًّا لقلب لم يذق مجد الأسى ... و بِلًى لقلب لا يملّ تشاكيا
أغلوا الجراح فلن تروا مثل الجوى ... للعبقرية مُنضجاً ومواتيا
إن القريض أعز مجداً من فتى ... يمسى و يُصبح ضارعاً متباكيا
لا يستحق الخلد شِعر ناحب ... تتقاطر العبرات منه جواريا

* * *

يا أيها الشاكى ! إلى من تشتكى ؟ ... أفأنت مُلفٍ فى الأنام مواسيا ؟
و إذا لقيت فإن فى إشـفاقه ... ورثائه ذلاً لنفسك كافيا
أم للطبيعة ما تبث وأذنها ... موقورة ما إن تجيب منادِيا
تشكو فتمتنق الطيور على الرُّبى ... بين الغصون ضواحكاً ولواهيا
وتنوح والأزهار تضحك خلسة ... والجدول المِطراب يسخر جاريا
هل أسكنت يوماً لشاكى علة ... طيراً على عرش الأزاهر شاديا
أو حطمت أغصانَها لفجيعة ... أو مزقت حُللا ترف زواهيا
أوَ لم تجىء هذى الطبيعة مرة ... ولهان تفتقـد الحبيب النائيا
كم جئتها قبلُ فى كنف الهوى ... وقضيتما فيها ضحى وأماسـيا
الزهر حولـكما يرفُّ مهنئاً ... والطير فوقـكما تحوم شواديا
والغصن مخمور يصفق ناثراً ... قُبَلاً على عطفيكما ولآليا
أودعتماها الذكريات حبيبة ... تحكى أزاهرها اللطافُ، غواليا
وكتبتما فوق الجذوع مواثقاً ... ونقشتما فوق الصخور أساميا
واليوم ...! تأتيها وحيداً شارداً ... ترجو بمغناها لجرحك آسـيا
فانظر إليها اهل رعت ذمم الهوى ... أو خلدت ذكراً حلَوْن خواليا
سائل افلست ترى لعهدك ذاكراً ... وابحث فلست ترى لحبك راعيا
واجزع! فلن تلقى لخطبك جازعا ... واندب افلن يلقى بكاك مباليا !
ما بالها تاهو وأنت مكلّم ... تتلمس الذكرى وعهداً خاليا
إن الطبيعة غادة فتانة ... لا تعرف القلب الوفى الحانيا !

* * *

أحبيبى الغالى ، وأنت مخاطبى — !
هيا استشفَّ من القصائد ما بيا
هذا القريض يشف عما تحته . ... أتظن قلبى بعد ذلك ساليا ؟
ألهو وأضحك ليس يبصر ناظرى ... ماذا تـكنُّ أضالعى وفؤاديا
أتقول : لا يذكى الهيامُ قصائدى !
لولا لحاظك ما زكتْ أشـــعاريا
أقصائد يحملن آلام الهوى ! ؟ ... يا هونهن ! ولو يكنَّ دراريا
وأنا قصيدتك البديعة صغتُها ... من فيض سِحرك أبحراً وقوافيا
و بخافقى ما لو تقسمه الورى ... لوسع القلوبَ على الزمان خواليا
لـكننى أغلى فؤادى أن يرى ... بين الأنام — وأنت فيه — داميا

(دمشق)

أمجد الطرابلسى

ذكرى ١٧ رمضان :

ثورة بدر

بقلم محمود حسن اسماعيل

مقتطفات منها

خَفَقَ العرشُ بالنشيدِ المطهرْ ... فدع الشعرَ والأغانى .. وكبّرْ!

. . . . . .

رجفت فى الجنانِ كالزعزع القصّـ ... ـافِ تدوى بجانبيّ وتزأرْ

من فجاجِ الغيوبِ هاجت صباحا
ثورةٌ فى الرمالِ هبّت تزمجرْ

أقبلت كالعجاجِ فى هبوة الحرْ
بِ « قُرَيْشٌ » على الحياض تنفّرْ

حَشَدوا موكبَ المنايا وخفوا ... لِضياء الإلهِ غاوين فجّرْ

يتراءونَ كالصواعِقِ فى الرمـ
ـل ووجهُ الضحى من الروعِ أغبر

كالشياطين جلجلت فى دجى اللي ... ل وهاجت فى البيد تعوى وتصرر

أرزمت فوقهم سيوف، وريعت ... من تناديهمُ أضاةٌ ومِغْفر

زلزلوا راسى النياف ، وراحت ... مِنهم البيدُ تقشعر وتذعر

ومضى الشرك بينهم مزعج الهيـ ... ـجة طيشانَ كاللظى المتسعّر

جَمّع الهول كله فى يديه ... ومضى بالحمام فى الهول يزفر

إن يكن كِبرُه أجنّ البلايا ... لنبيّ الاسلام . . فالله أكبر

* * *

وعلى التلّ خاشع فى عريش ... قُدُسيّ الظلال زاكٍ مُنوّر

كاد من طيبه الجريدُ الحنّى ... من ذُبول البلى يميس ويزهر

هالة تسكبُ الجلال ، وتندى ... بوميض الهدى يُفيق ويسحر

لو رمت كاسف البصيرة أعمى ... عاد منها مُبلّج القلب أحور

باسطٌ كفّه إلى الله يدعو : ... رَبّ حُمّ القضا لدينكَ فانصر

إن أجنادىَ البواسـ ... ـل قُلّ وخميس العدو كالموج يزخرْ

خفقة من كِرى تجلّتْ عليـ ... ـه مال من طهرها الرّداء المعبّرْ

وإذا الوحى بارقٌ مستهلٌّ ... من سماء الغيوب هَنّا وبشّرْ

فانتضى سيفه وهبّ على الفا ... رةِ بالسرمد القوىّ مؤزّرْ

ينفح القوم بالحصا فتـدوّى ... أسلاتُ الإسلام فى كل منحر

وجنود السماء من كل فجّ ... غُيّب للعيان فى القلب حُضّر

تشعل النار فى قلوب المذاكى ... وتؤجج الرجال ناراً تسعّر

قوّةٌ من جوانب العرش هبّت ... ذاب من بأسها الحسام المشهّر

و« بلال » يلق « أُميّة » غضبا ... ن فيشفى الغليل منه ويثأر

أمس كم حمل الصخور الذواكي ... بلهيب الرمضاء تغلى وتسعر

وهو اليوم قاذف صخرة المو ... ت ... عليه تهوى فتردى وتتبر

وأبو جهل جندلتـه قناة ... فهوى تحت جندل البيد يزحر

وقف الكفر فوقه يندب الكفـ ... ـر ويهذى على الرُّفات ويهذر

لكأنى بعظمك الآن يصطكّ ... ويغلى من الأسى والتحسّر

وشظايا اللسان ندمانة كا ... دت لنور الهدى حنيناً تكبّرا

تمرات فى كف أعزل جوعا ... ن هضيم بين الوغى متعثّرْ

عربيّ من شيعة الله وانٍ ... عن صراع الهيجاء قهراً تأخر

حينما شاهد النبيّ تلظّت ... جمرة النصر فى حشاه المفتّر

هاج كالعاصف المدمّر فى الجيـ ... ـش وأهوى كالموت يبلى ويدحر

سلّ من روحه حُساماً ومن إيـ ... ـمانه فى مسابح الروع خنجر

هكذا نجدة السماء أحالت ... واهن الجسم كالمعىّ المدمر

فاذا النصر صيحة هزت الدنيـ ... ـا وراعت بروج كسرى وقيصر

وإذا « بدر » خفقة فى لسان الشـ ... ـرق يزهى على صداها ويفخر

محمود حسن اسماعيل

أيها المرضى بالبول السكرى
يسرنا لكم أن نبشركم بوجود علاج
قبل أن تجربوا الدواء الجديد
أنتيكوما !
هذا الدواء مركب بناء على أحدث الأبحاث
العلمية الخاصة بهذا المرض.
اطلبوا البيانات اللازمة مجانا من
جلا نهورمين. صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر

القصص

قصة واقعية

الغـــريب ...

« نالت هذه القصـــة جائزة قدرها ١٠٠ جنيه فى مسابقة القصص الواقعية فى مجلة «True Story» الانجليزية »

نقلها عن الانجليزية

أحمد فتحى مرسى

لا أعلم ما الذى جعلنى أشعر بالخوف والوحدة بعد أن امتطى فرانك صهوة جواده ومضى فى سبيله ظهر أحد أيام الأحد ... لقد كان علىّ أن أمكث مع طفلى العزيزين أياما وأياما وحيدين فى مزرعتنا بين تلك الروح الواسعة ، لم يساورنى خلالها مثل ما ساورنى ذلك اليوم .. ربما كانت الوحدة تخيف بعض النساء ؛ بيد أننى قضيت فى هذه الجهة ما يقرب من عامين بعيدة عن العالم منفردة عن المجتمع ، فضلاً عن أننى نلت قسطا من التعليم جعلنى أنبذ ما تدعيه النساء من خرافات وأباطيل ... كان هناك ما يقرب من العشرين ميلا بيننا وبين أقرب جار لنا ؛ ولقد كان فى تناثر المزارع على هذا الشكل مغنم للصوص ورجال العصابات ، فكان الانسان يقضى أياما طوالا دون أن يرى فى هذه الناحية وجها لانسان ، اللهم إلا أحد رعاة البقر يبحث عن قطيعه المزق ويجمع أشتات ماشيته المتفرقة ، ولكنى كثيرا ما قضيت مع فرانك الشهور الطويلة دون أن يقع بصرنا على إنسان ما

* * *

ولقد كانت مصاحبة طفلى العزيزين تجعلنى سعيدة قريرة العين . وكان أكبرهما فى الثانية من عمره ويدعى بوبى ؛ وأما ڤيل الصغير فقد كان عمره لا يزيد على بضعة أشهر ، ولكنه برغم ذلك كان طفلا هادئا مريحا

ولقد يتساءل البعض : لماذا اخترنا هذه البقعة الموحشة لنقضى فيها ميعة صبانا وزهرة شبابنا ؟ فأجيب : منذ حوالى أربع سنوات عند ما تزوجت من فرانك ، كان يشغل منصباً فى أحد البنوك فى مدينة ولتون ڤيل على مسير خمسة وثلاثين ميلا من مزرعتنا ؛ وكان قد اقتصد قليلا من المال مدة اشتغاله فى المصرف . ولم يلبث فرانك طويلا فى المصرف بعد زواجنا ، فقد أصبح المصرف فى غنى عن عمله لضيق أعماله ، فأخذ يبحث عن عمل ولكن دون جدوى ... وأخيرا وجدنا أنفسنا وليس معنا إلا قليل مما اقتصدناه . وكان فرانك قد درس هذه المنطقة ملياً مدة اشتغاله فى المصرف ، وكانت تحوى الكثير من المزارع التى تصلح لتربية الماشية وزراعة بعض الحاصيلات الصيفية

وفى ركن قصىّ من تلك الأصقاع كانت تقع مزرعة جميلة فيها منزل ريفى بديع الموقع بسيط التأثيث ، وبها بئر طيبة المورد عذبة الماء ، وحول المنزل قطعة مسورة من الأرض يخيل إلى أنها كانت حديقة فيما مضى . وأخذنا الفرح بهذه المزرعة ، فاشتريناها وبدأنا عملنا فيها

وكان كلانا فى ضحوة شبابه وربيع حياته يتمتع بصحة جيدة وبنية قوية . وكان فرانك لا يعرف الكثير من أحوال المزارع وإدارتها فلازمنا الفشل فى أول الأمر ـ شأن كل من يبدأ عملا لم يمارسه من قبل ـ ولكن أدركتنا عناية الله فذللنا كل ما قابلنا من العقبات

ولد لنا (بوبى) فى مدينة ولتون ڤيل ، وأما (ڤيل) فقد ولد فى مزرعة مرى وذر على بعد عشرين ميلا منا . ولقد كانت السيدة مرى وذر نعم الأم الحنون البرة مدة إقامتى عندها

* * *

ومضت الأيام تتبع الأيام والشهور تقفو أثر الشهور ، ونحن سعيدان بهذه الحياة الهادئة على رغم بعدنا عن العالم وانفرادنا عن المجتمع ، إلى أن كان يوم زارنا فيه جار لنا يدعى جيبون ، يطلب مساعدة فرانك فى إصلاح قطعة من الأرض اشتراها أخيرا . فلما اعتذر

له فرانك بأنه ليس لديه جواد ، فضلا عن أنه لديه من الأعمال ما يشغله عن ممارسة غيرها ، قال غاضباً :

— هذا شيء لا يحتمل ! من أين لى أن أجد رجلا آخر فى هذه الناحية المقفرة ؟ سأعطيك كل ما تطلب من الأجر نظير ترك أعمالك ، فضلا عن أنى سأعوضك جواداً خيرا من جوادك

وبعد نقاش طويل قبل فرانك ما عرضه عليه الجار على أن يدعه يعود إلى المزرعة فى أيام السبت والأحد لانجاز أعماله الهامة . وعلى هذا أصبحت أقضى جل الأسبوع وحيدة إلا من طفلين لا يستطيع أكبرهما أن ينطق . ولكنى كنت أعزى نفسى بأن العمل يستغرق أسابيع يعود بعدها فرانك ومعه المال والجواد

* * *

ولا أكون مبالغة إذا قلت إننا لم نشعر فى حياتنا بسرور قدر ما شعرنا به تلك الليلة عند ما عاد فرانك للمرة الأولى يحمل أجرة الأسبوع الأول ، فقد خيل الينا أننا فى حلم عندما نثر النقود على المائدة ؛ وليس هذا عجيباً ، فقد كان كلانا لم ير النقود من زمن غير قليل . قال فرانك :

— أظن أنه ليس فى الامكان السفر إلى ولتون قبل لابداعها فى المصرف قبل أن أنتهى من مساعدة چيبون ، وستكون هنا فى مأمن . فقلت :

— إذن دعنا نخبئها فى مكان ما

— حسن ! ثم وضع النقود فى كيس صغير وأعطاها إياى قائلاً :

— ضعيها تحت وعاء الدقيق يا عزيزتى ... فاذا داخلك الشك يوماً فى أحد يحوم حول هذا المكان فاحفرى لها فى الأرض

وفى مساء الجمعة التالية زاد قدر ما عندنا من النقود بما أضافه اليها فرانك من أجره الثانى

* * *

وفى صبيحة السبت نهض فرانك مبكراً وأخذ يعمل فى المزرعة بجد ونشاط — كعادته فى سائر أيام السبت والأحد — حتى إذا كان ظهر الأحد خرج ليسرج جواده ويمضى إلى عمله عند چيبون ... ولسبب ما داخلنى شعور غريب هذه المرة ، فقد كنت أريد من أعماق نفسى ألا يذهب وألا يتركنى هذه المرة . ولما ضمنى ليودعنى لم أجد ما أقوله له غير هذه الكلمات :

« لا تذهب يافرانك ... لاتتركنى هذه المرة ياعزيزى » والحقيقة أننى كنت أشعر بشعور خفى ، ويدافع من صميم قلبى يدفعنى إلى استبقائه بجانبى . ولكنه ابتسم قائلاً :

— تشجعى ياعزيزتى ... سأعود قريباً

ثم انطلق الجواد كالسهم وأنا واقفة أتابعه بنظرى وهو يختفى فى ظلام من الغبار

* * *

استيقظت فى الرابعة من فجر اليوم التالى ، لأنه كان يروق لى أن أنجز أعمالى فى الصباح الباكر قبل أن يشتد وهج الشمس فى سماء الصيف الصافية ويحمر قيظها ، فأخرجت الماشية من حظائرها وأوقدت النيران فى الموقد ، ثم عدت إلى المنزل لأغذى الأطفال ، وألقيت وأنا أصعد الدرج نظرة خاطفة على الطريق الذى مضى فيه فرانك أمس . ولشد ما كانت دهشتى عند ما أبصرت من بعيد شبحاً سائراً على قدميه يقترب رويداً رويداً من المزرعة ؛ وقد عجبت من ذلك أشد العجب ، فهذه أول مرة أرى فيها شخصاً يجوب هذى السهول المترامية سيراً على الأقدام . أسرعت إلى المنزل ووقفت فى النافذة وأنا أفكر فيمن يكون ذلك الشخص وما مأربه ؟ أهو صاحب مزرعة من اللواتى حولنا يطلب مساعدة ؟ ولكن هذا لا يمكن ، فكل منهم يملك جوادا على الأقل إن لم يكن يملك مركبة . إذن فهذا الرجل غريب عن الناحية

ولكن لماذا يأتى الغريب إلى هنا ؟ ربما ضل الطريق وأخطأ الجهة التى يقصدها ! ولكنه لا يمكن أن يصل الى هذه الجهة المنفردة دون أن يدرك أنه أخطأ الطريق ... كل هذه الأفكار كانت تساورنى وأنا واقفة فى النافذة أرقب الرجل وهو يقترب :

— ترى ماذا يفعل ذلك الرجل لو علم أنى وحيدة فى ذلك المنزل ؟ وماذا يفعل لو عرف شيئاً عن النقود ؟

وأخيراً قلت لنفسى : « حسن . ما دام فرانك أخذ دوره وعمل بجد حتى حصل على هذه النقود ، يجب أن آخذ دورى فى الدفاع عنها » وأسرعت إلى « مسدسى » وكان محشوا ، وأيقظت الأطفال حتى لا يزعجهم إطلاق النار . وكان الرجل قد وقف على بعد خمسين خطوة من المنزل يقلب الطرف فى الحديقة والدار ؛ وبدا لى وجهه مخيفاً مرعباً وملابسه قديمة رثة . على أنه لم يدهشنى قط عندما أخرج مسدسه من جيبه ومشى صوب الباب لأنى

كنت أتوقع ذلك بين لحظة وأخرى .... انتظرت حتى أصبح على بعد خطوات من الباب ثم دفعت الباب بقدمى فأصبحت أمامه وجهاً لوجه

* * *

— مكانك وإلا أطلقت رأسك !

فوقف الرجل مبهوتاً ، ثم أردفت على عجل :

— والآن ماذا تريد ؟

— سيدتى ! ما أنا إلا رجل فقير جائع ؛ أريد قطعة من الخبز أسد بها رمق ، أو أى عمل عندكم أعيش منه ... ثم تابع كلامه وقد رأى الشك فى عينى :

— إننى أمين يا سيدتى ؛ لا تسيئى بى الظن

— شكراً لك ! إن زوجى قد قام بكل الأعمال ، وليس لدى ما أعطيك إياه

— لقد قضيت يا سيدتى يومين سائراً . يعلم الله أنى لم أذق فى خلالها شيئاً قط ....

وأيقنت من نبراته أنه صادق فى كلامه برغم ما داخلنى فيه من شك . وقد رأيت أن من الغباء أن أدعه يعمل عندنا ونحن لا نعرف أصله ، ولكنى لم أعدم شيئاً من العطف على رجل لم يذق الطعام من يومين ؛ فقلت له وأنا ما أزال قابضة على المسدس :

— إن ورائى على المائدة وعاء من اللبن وقطعتين من الخبز خذهما وامض فى سبيلك .. فنظر لحظة إلى المسدس قبل أن يجد فى نفسه الجرأة الكافية على الدخول ، ثم جمع أشتات نفسه ودخل وحمل الطعام ثم خرج متمتماً بكلمات الشكر

ومضيت فى عملى فنسيت ذلك الحادث . وكانت الشمس قد ارتفعت فى السماء . فجلست مع بوبى لنتناول الفطور فى هدوء وصمت . وفجأة تذكرت أننى لم أجمع بيض الدجاج هذا الصباح ، وكانت عادتى أن أجمعه فى الصباح الباكر قبل أن تعبث به زواحف القفر . فلما بلغت آخر مجاثم الدجاج طرق سمعى فحيح حاد صادر من الحطب الهشيم الملقى على جوانب المجثم ، فعرفت الصوت لساعته وإن كنت لم أسمعه فى هذه الجهة من قبل ، فهلع قلبى وأسرعت بالعودة ، إلا أننى لم أكد أدير وجهى حتى شعرت باللدغة فى قدمى اليمنى

لقد كانت عضة أفعى سوداء كبيرة . وقد جدت فى مكانى لمجرد ذكرها قبل أن تلمحها عيناى المضطربتان وهى تزحف بين الهشيم

وأخيراً بلغت المنزل أجر قدمى ورائى وأنا ألهث من التعب ، ومزقت الحذاء سريعاً فبدا أثر النابين عميقاً ظاهراً ، وكنت أجهل تماماً ما سأفعل ولفنا على قاب قوسين من الموت ... فجعلت أجهد ذاكرتى حتى أصل إلى ما قاله لى فرانك عن علاج مثل هذه الحالة . وأخيرا وجدت ضالتى المنشودة . لقد قال لى : يجب أن تربط الرجل من فوق اللدغة بقليل حتى لا يسرى السم مع الدماء ، ثم تعالج الاصابة « ببرمنجانات البوتاس » ... وسرعان ما مزقت قطعة من القماش من غطاء المائدة وربطت بها الرجل من فوق اللدغة بقليل ثم قمت أبحث عن الدواء

ولكنى تذكرت فجأة أنه لم يبق عندنا منه شىء ، فقد استنفدته عن آخره فى تطبيب الدجاج فى الربيع الماضى ونسيت أن أطلب من فرانك أن يشترى بدله

عدت إلى المقعد فى ذهول وأغمضت عينى وجعلت أفكر وأفكر ولكن دون جدوى .... كل ذلك والسم آخذ طريقه فى قدمى حتى تصلبت عضلاتها .... ماذا أفعل وأنا وحيدة مع طفلين وهناك عشرات الأميال بينى وبين أقرب نجدة ؟ وإذا قدر لى الموت فما مصير الطفلين البريئين ؟ كانت قدمى تؤلمنى ألماً مبرحاً ولا أعلم إن كان ذلك من السم أم من شدة الرباط ؟

لم يكن أمامى ثمة شىء ينقذ حياتى وحياة الأطفال إلا أن أحاول أن أذهب معهم إلى (مرى وذر) . فربما أتمكن من إدراكها قبل فوات الوقت إذا تركت للجواد العنان ... فقمت أتحامل على نفسى وعلى الحائط ؛ ولكن قبل أن أدرك الباب تذكرت شيئاً آخر جعلنى أكاد أسقط على الأرض ... لقد أخذ فرانك الجواد ولسنا نملك غيره . شعرت بأن الدم يكاد يفيض من وجهى ، وأنا أعود إلى المقعد فى ذهول ... أأصحب الطفلين وأمضى سائرة على الأقدام ؟ ولكن هذا معناه ساعات وساعات دون أن نصل الى وجهتنا ... قمت ثانية لأحمل (ڤيل) ولكنى عدت فتذكرت أن قدمى بوبى الصغيرتين لا تحتملان السير أكثر من ميل أو ميل ونصف ... إذن سأضطر الى حمل الطفلين فى الطريق ، وسأبذل من الجهد ما يجعل الدم ينشط والسم يسرى فتكون النهاية المحتمة الأليمة : طفلان فى القفر فى يد القدر بجانب أم ميتة

يا إلهى ! ماذا أفعل وهذا الموت المحقق يسير فى عروقى ، وعن قريب أصير فى عداد الأموات ... ولكن الطفلان

ما مصيرهما ؟ الموت دون شك .. وإذا كان لا بد من الموت فلم لا أسرع حتى أخلص من عذاب النفس الممض وعذاب الجسم المبرح ؟ ... لم لا أسرع بالقضاء على نفسي وعلى الطفلين حتى نستريح جميعاً ؟ ... خففت قليلاً من وطأة الرباط فلم تعد ترجى منه فائدة ، وتناولت قلماً وورقة من المكتب ثم جلست أكتب لفرانك ظهر الاثنين :

عزيزي فرانك :

لقد لدغتني أفعى سامة كبيرة .. ولم أجد لها علاجاً ناجعاً ولا يمكنني أن أعيش أكثر من بضع ساعات . أما الطفلان فلا أظنهما يلبثان على قيد الحياة الى حين حضورك . لذلك سأفعل الأمر الوحيد الذي يمكنني أن أفعله في هذه الحالة فأريح نفسي والطفلين من العذاب الأليم . وأتمنى لك حياة طويلة سعيدة ؟

عزيزتك

روز ماري

ووضعت الورقة على المائدة ثم تناولت المسدس ، واقتربت من طفلي ڤيل وكان مستغرقاً في نومه فركعت بجانبه ثم طبعت على جبينه قبلة حارة وصوبت «المسدس» الى رأسه بيد مرتعشة ، ثم أغمضت عيني لأطلق النار ....

— بحق السماء ماذا تفعلين ياسيدتي ... ؟

اضطرب « المسدس » في يدي وتلفت إلى مصدر الصوت في جزع فاذا الرجل الغريب الذي رأيته في الصباح واقفاً بالباب ينظر الي تارة والى المسدس أخرى .. ثم تقدم أخيراً فقبض على المسدس من يدي وألقاه على المائدة ، ثم تابع كلامه قائلاً — أتقدمين على قتل هذا الطفل البريء ؟

— نعم أقدم على ذلك

— أمجنونة أنت ؟

— كلا ... لقد لدغتني أفعى سوداء سامة وأدركت أن الموت من نصيبي وأيقنت أن الطفل سيموت جوعاً ففضلت أن نموت سوياً

— أفعى سوداء ! قالها وتقدم الي في سرعة فرفعني من مكاني وأضجعني على المقعد ثم أخرج من جيبه سكيناً حاداً رسم بها دائرة حول أثر النابين ، ثم أخذ يضغط الجرح بشدة حتى سالت الدماء وفاضت على جوانبه ... ثم نهض مسرعاً وجذب قضيباً من الحديد كان ملقى على المائدة ، ثم سأل :

— أين الموقد ؟

— وراءك الى اليمين . فأسرع إليه ووضع القضيب في النار الى أن احمر طرفه ثم عاد الي قائلاً :

— يعز علي أن أفعل ما أنا مقدم عليه ، ولكن هذا هو العلاج الوحيد . ولما انتهى من كي الجرح أحضر لي جرعة من الماء . ثم تبع ذلك صمت طويل قطعه أخيراً بقوله :

— لقد توسمت فيك الشجاعة هذا الصباح يا سيدتي . وقد رأيتها الآن رأي العين ؛ وأظن أنك ستشعرين بألم مبرح بضعة أيام يزول بعدها كل شيء . ورانت على الغرفة فترة أخرى من الصمت ثم قال أخيراً في هدوء وتؤدة :

— لا يمكنني على ما أظن أن أمضي وأتركك على ما أنت عليه ... ثم أردف باسماً :

— إنه ليبدو عجباً أن أحضر إلى هنا رغبة في الاستيلاء على أموال زوجك وقتلك إذا دعت الحال ، فاذا بي أساعدك وأسهر عليك وأعنى بمرضك كما لو كنت صديقاً حميماً !

* * *

وأظن أن آخر شيء يمكنني أن أذكره قبل أن يأخذني الاغماء هو صورة الغريب في يده وعاء اللبن وهو ذاهب لحلب البقرة وبوبي يقفز حوله في سرور . أما ڤيل فقد كان مستغرقاً في سباته ، وكانت الشمس قد آذنت بالغروب ... ثم أظلم المكان في عيني ولم أشعر بما يجري حولي ، اللهم إلا أشباحاً تتراقص ، وأيدياً تلوح ، وأصواتاً تدوي ...

حينما أفقت من الاغماء كان الوقت ظهراً والسجف مرخاة على النوافذ والغرفة خالية إلا مني ومن بوبي الذي كان جالساً يأكل في أحد الأركان في سرور جعلني أشعر بمثله

— أظنك تشعرين الآن ببعض التحسن ياسيدتي ... كان ذلك صوت الرجل الغريب ، فتلفت فاذا به واقف بجانب السرير ينظر الي في حنان وعطف . فسألته :

— في أي يوم نحن الآن ؟

— الأربعاء ياسيدتي

* * *

وفي مساء الجمعة وكان قد ثاب إلى بعض صحتي ونشاطي ؛ وكان بوبي وڤيل قد أخذتهما سنة من النوم ، قال لي الغريب :

— في أي وقت تتوقعين حضور زوجك يا سيدتي ؟

— إنه يصل عادة بعد التاسعة بقليل

— إذن يجب عليّ أن أذهب ، ولكني لن أتركك حتى أسمع وقع حوافر جواده

— ولكن لماذا ؟ قد يرغب فرانك في رؤيتك ليقول لك شيئاً

— شكراً ، إني أعلم ما سيقوله لي

— إذن دعني أمنحك قليلاً من المال ، وإنه لشيء تافه بجانب ما تكبدته لانقاذي وإنقاذ الطفلين . . ثم قمت لأحضر النقود ، ولكنه اعترض سبيلي قائلاً :

— أرجوك الجلوس ياسيدتي — لقد كانت النقود في متناول يدي طول أيام الأسبوع ، ولكني لم أمسها ولن أمسها . . . ! ثم خيم على الغرفة صمت طويل قطعه أخيراً وقع حوافر جواد قادم في الطريق ، فقام الرجل وسار نحو الباب في خطوات متزنة ثم اختفى بين طيات الظلام.

* * *

قصصت على فرانك القصة فما انتهيت منها حتى ابتدر الباب باحثاً عن الرجل ، ولكني استوقفته وأخبرته أن من العسير أن يعثر عليه في هذا الظلام الحالك ، فرجع آسفاً . ومنذ ذلك الحين ونحن نتمنى لو تتاح لنا فرصة نشكر فيها ذلك الغريب ونوليه أضعاف جميله ؟

أحمد فتحي مرسي

الرسالة

تدخل عامها الخامس في أول يناير ومعها :

الرواية

وهي مجلة للقصص العالي والسمر الرفيع ؛ تصدرها ادارة الرسالة في ثمانين صفحة

تعتمد في الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربي في القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً في مصر والسودان ، وخمسين قرشاً في الخارج

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة (كاملاً) قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجاناً ، وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم فوق ذلك أن يؤدوا الاشتراك على ستة أقساط متتابعة ، وأن يكون لهم الحق بعدها في كتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لا يقل عن عشرة قروش ولا يزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) ، وستنشر الرسالة قائمة بالكتب المختارة

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الامتياز في شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين .

البريد الأدبي

قانون جديد للصحافة في فرنسا

صدر أخيراً قانون جديد للصحافة في فرنسا يرمي إلى وضع حد لذلك الاغراق التي انتهت اليه بعض الصحف المتطرفة في شأن الأنباء الكاذبة والمقالات القاذفة ؛ وكان صدوره على أثر انتحار المسيو سالنجرو وزير الداخلية الذي لبث مدى أشهر هدفاً لحملات بعض الصحف المتطرفة مثل «جرينجوار» و«لاكسبون قرانسيز» ، فقد استمرت هذه الصحف تنشر عنه وعن ماضيه كثيراً من الأخبار والمطاعن المثيرة ، وتطعن في وطنيته ونزاهته وإخلاصه لوطنه . ومع أن اللجنة الخاصة التي ألفت لبحث ماضي المسيو سالنجرو قد انتهت بتقرير بطلان هذه التهم جميعها ، ومع أن البرلمان ذاته قد انتهى بتبرئته وإعلان تقديره لوطنيته ، فأن هذه الصحف القاذفة لم تنقطع عن مطاردته حتى سقط صريعاً في الميدان . فبادرت الحكومة باستصدار القانون الجديد ، وهو يرمي إلى أغراض ثلاثة : الأول قمع الأخبار الكاذبة ؛ والثاني منع المطاعن والحملات القاذفة ؛ والثالث وضع رقابة فعلية على المصادر المالية للصحف ، نظراً لما ثبت من أن كثيراً من الصحف تندفع بتأثير ما تتناوله من الاعانات المالية الى إثارة الخصومات السياسية والمطاعن الشخصية دون اكتراث للنتائج والشخصيات . وبناء عليه يجب أن تقوم الصحف من الآن فصاعدا في شكل شركات مساهمة ، وأن يعتبر مديروها كما يعتبر محرروها مسؤولين عما يظهر في الجريدة

وقد كانت الحملات الصحفية القاذفة تعرقل كثيرا من أعمال الحكومات ، وكانت الحكومات المختلفة تفكر في إصدار مثل هذا القانون منذ زمن طويل ، ولكنها تتراجع دائماً ، حتى جاءت الحكومة الاشتراكية ووقعت حادثة مسيو سالنجرو . ومن الغريب أن تكون الحكومة الاشتراكية هي التي اضطلعت بأصدار مثل هذا القانون المقيد للحرية ، ولكنها في الواقع أصدرته لحاجة ماسة . ذلك أن الاسراف في نشر الأنباء الكاذبة والحملات القاذفة قد وصل الى حدود لا يمكن احتمالها ، وكثرت الصحف القاذفة التي تعيش من الطعن في الأشخاص والجماعات ؛ والقذف معاقب عليه في القانون الفرنسي دائما ، ولكن القانون الجديد يعتبر القذف واقعاً في جميع الأحوال إذا كان يمس الهيئات الرسمية أو الأشخاص الذين تشير اليهم المادة ٣٥ من قانون سنة ١٨٨١ ؛ وقد نص في القانون الجديد على تقصير الاجراءات حتى يقع العقاب المنشود بالقاذفين بسرعة ، ونص فيه على عقوبات مالية فادحة إلى جانب العقوبات المقيدة للحرية وما نص عليه من تعطيل الصحيفة . وقد أثيرت حول القانون الجديد اعتراضات كثيرة أهمها أنه لا يمكن إجراء الرقابة المالية المنشودة دون الاضرار بكثير من الصحف النزيهة المخلصة وعرقلة تقدمها ، وإنه يخشى أن تعمد الهيئات التي تستتر وراء الصحف القاذفة الى تزويدها برجال من قش يحكم عليهم دون أن ينال هذه الهيئات شيئاً ودون أن تقطع معونتها عن الصحيفة المحكوم عليها . ثم إنهم يخشون جداً من عدم استقلال القضاء الفرنسي وميله مع الاتجاهات السياسية . بيد أن الحكومة الاشتراكية تتمتع في إصدار هذا القانون بكثرة من كل أولئك الذين يقدرون قيمة النزاهة والاخلاص والتعفف عن المطاعن القاذفة في صناعة القلم التي يجب أن ترتفع عن الاستغلال في الخصومات الدينية

كارل فون أوستيسكي أيضاً

بسطنا في العدد الماضي قصة كارل فون أوستيسكي الكاتب الألماني الكبير الذي فاز بجائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٥ ، والذي اعتبرت الحكومة الألمانية فوزه بهذا الشرف تحدياً لها لأنها تعتبره خائناً ، لما كان يكتبه من مقالات في الدعوة إلى السلام ونزع السلاح ؛ وقد أرادت أن تعتقله منذ سنة ١٩٣٣ ، ولكنها اضطرت إزاء اشتداد العطف الدولي عليه أن تطلق

سراحه ، فغادر المستشفى مريضاً منهوكا حيث يعالج الآن . وقد اطلعنا أخيراً فى جريدة « بازلر ناخرختن » السويسرية على حديث جرى لمكاتبها البرلينى مع هذا الكاتب الشهير بأذن السلطات الألمانية ، خلاصته أن فون أوستيسكى حينما نقل إليه خبر فوزه أبرق إلى الأكاديمية السويدية بقبول الجائزة ، وبأنه سيأتى بنفسه إلى استوكهلم ليلقى خطبة القبول ؛ بيد أنه سيحاول جهد استطاعته أن يكون واسطة لتحسين العلائق بين ألمانيا والسويد . ويصرح فون أوستيسكى بأنه ما زال على عقيدته السلمية يدعو إلى تفاهم الأمم ، وأن الدعوة إلى السلم إنما هى فى مصلحة وطنه ، وأنها تتجه إلى جميع الأمم التى تبالغ فى التسليح مثل روسيا السوفيتية ؛ وأنه حين يغادر ألمانيا لن يعود إليها بعد . على أنه لا يريد قط أن يكون فوزه بجائزة السلام مدعاة لمظاهرة سياسية ؛ وأنه يأسف كل الأسف إذ كان فوزه بهذه الجائزة مثاراً للمناقشة بين السويد وألمانيا . ويأسف بنوع خاص لأنه كان موضع حملة من الشاعر النرويجى الكبير كنود هامبسون

والظاهر أن الحكومة الألمانية قد اقتنعت أخيراً بإطلاق سراح الكاتب الكبير نهائياً ، ورأت أن ليس فى صالحها أن يطول أمد اعتقاله ؛ وقد كان الكاتب عند وطنيته وإخلاصه لوطنه على رغم ما لحقه من صنوف الأذى طيلة هذه الأعوام

نقل الآداب الأوربية الى الأدب العربى

ذكرنا من قبل فى إحدى افتتاحيات (الرسالة) أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أعدت مشروعا لنقل الآداب الغربية الى الأدب العربى ؛ ويسرنا أن نذكر اليوم أن وزارة المعارف العمومية قابلت هذا المشروع بما يستحقه من التقدير والعناية ، فقررت أن تساعد اللجنة على تحقيقه بخمسمائة جنيه فى ميزانية هذا العام ، تزيدها إلى ألف جنيه فى ميزانية العام المقبل (على أن يشرف على هذا المشروع لجنة من حضرات الأساتذة الدكتور طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين مع الاستعانة بالعناصر الأجنبية للارشاد عن خير المنتجات الأوربية فى اللغات الثلاث : الانجليزية والفرنسية والألمانية) . وبعد عطلة العيد ستجتمع اللجنة لتنتخب الأساتذة الذين يناط بهم تنفيذ هذا العمل الخطير تمهيداً للسير فيه

وفاة لويجى بيرانديللو

توفى فى صباح يوم الخميس الماضى الكاتب الايطالى لويجى بيراندللو على أثر إصابته بالتهاب الرئة . وهو زعيم الأدب المسرحى فى إيطاليا من غير منازع ، وصاحب المذهب الفنى المعروف بمذهب الفكاهة humorisme أو Pirandillisme نسبة إليه . وقد ولد فى أجريجانتى بجزيرة صقلية فى سنة ١٨٦٧ ودرس الأدب فى روما ثم سافر إلى ألمانيا فحصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة (بُن) . ولما رجع إلى بلاده عين أستاذاً فى المدرسة العليا للبنات فظل فيها من عام ١٨٩٧ إلى عام ١٩٢١ ، وكان فى خلال ذلك يؤلف القصص والروايات وينشرها حتى بلغ إنتاجه أربعمائة أقصوصة وعشر قصص وثلاثين رواية . وفى سنة ١٩٣٤ نال جائزة نوبل للآداب ، وبهذه المناسبة نشرت « الرسالة » عنه فصلاً تحليلياً ضافياً فى عددها الرابع والسبعين فارجع اليه إن شئت المزيد

كلمة حول زارا وتحقيق نسبته

كتاب « زارا تسترا » للفيلسوف الشاعر الألمانى « فردريك نيتشه » الذى تنشر ترجمته (الرسالة) من المؤلفات الذائعة الصيت فى عالم الثقافة الغربية ، ويُعَدُّ هذا الكتاب بل « الديوان » أعظم أثر شعرى فى العصر الحديث . وقد قيل فيه إنه لم ينتج شاعر فى العصر الحديث أثراً يضارع ماحوته دفتا هذا الكتاب ! وحسبك أن تعلم أن الموسيقى الألمانى الشهير « ريشارد شتراوس » قد لحنه موسيقياً

وبلغ من تأثير هذا الكتاب أن عُدَّ مسؤولا إلى حد كبير عن إذكاء تلك الروح التى حفزت الشباب الألمانى ودفعته إلى خوض غمار الحرب الكبرى ، ولم يقتصر أثر هذا الكتاب على كثير من عقول مفكرى الغرب ، بل تناول كثيرين من مفكرى الشرق . فالشاعر الهندى الفيلسوف محمد إقبال قد تأثر به إلى حد كبير تجسه فى كتبه « أسرار الذاتية[1] » و « أسرار اللاذاتية » . . . وما دعوة الجهاد الاسلامى التى يريد إحياءها « إقبال » ولا يفتأ يرددها ويدعو اليها إلا أثر من آراء نيتشه وفلسفته فى تمجيد القوة والدعوة إلى « السوبرمان »

وجبران خليل جبران الشاعر اللبنانى ينهج فى كتابه « النبى »

(١) راجع الرأى فى الطبعة الإنجليزية

الكتب

كتاب باب القمر

تأليف الأستاذ ابراهيم رمزى

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

ماذا أسميه ؟ أأسميه قصة ؟ إننى إن فعلت فان أعدو الحقيقة إذ هو فى الواقع قصة فيها ما فى القصص عادة من مداخل الخيال وطلاوته . ففيها لمياء ابنة الحارث بن كلدة ، تلك الصورة الحية الناطقة التى لا يسع قارىء القصة إلا أن يتمثلها ويحس ما تحسه من أشجان . فتاة عربية رومية تجمع ثقافة الاغريق وصفاء نفس العرب ، وتتمثل فيها فضائل المدنية وفضائل البداوة جنباً الى جنب . وفيها ورقة ابن العفيفة ، ذلك الفتى العربى النبيل الذى يتقلب فى بلاد العرب وفيا حولها حتى ينتهى به التجوال الى الاسكندرية فيصبح فيها أمين الحاكم وكبير حراسه . وهذان هما الشخصان اللذان قد حيكت حولها حوادث القصة على ما ألف الناس فى القصص من دوافع المواطف الشريفة وخوالج النفوس المضطرمة ؛ على أننى لا أملك إلا أن أعقب على هذا القول لأحدد منه . فان هذا الكتاب ليس على ما يفهم من القصة المحض ، فان المؤلف قد جعل الى سداه القصصى لحمة من التاريخ المصفى الذى لا يخطىء القارىء إذا اعتمد عليه ووثق من حقائقه ، فهو يصور حال بلاد العرب فى أول أيام البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فابتدأ فى نجران وصور ما كانت عليه حال تلك المدينة القديمة ومكان الأسقف المسيحى منها ؛ ثم هبط اليمن مع قوافل التجار التى تيمم الشمال فى رحلاتها المنتظمة حتى بلغ معها بلاد الحجاز فصور مكان النبى عليه الصلاة والسلام فى أوائل سنى البعثة وصور صحابته تصويراً لا أظن ريشة المصور تبدع خيراً منه ، كما صور أعداءه وشتى وسائل عداوتهم له الى حصارهم إياه فى الشعب على ما هو معروف فى كتب السيرة ؛ وعبر بعد ذلك الى الشام فعرض صورة لدولة الروم وهى تناضل الفرس نهجاً يشابه طريقة الفيلسوف الألمانى ، وهو إن خالفه فى الروح والمبادىء فانه يشابهه فى الأسلوب وطريقة الأداء التى يتميز بها كتاب « زارا تسترا » ، وقد تبوأ هذا الكتاب مكانه فى التفكير الغربى كانجيل جديد يبشر بمذهب جديد فى الحياة وغايتها على الأرض ، مذهب هو أقرب الى الدعوات الدينية منه الى المذاهب الفكرية الفلسفية

وقد دعانى الى كتابة هذه الكلمة ما رأيته من خلاف فى نسبة « زارا » . على أن كل المصادر مجمعة على نسبته الى Zoroaster ، ولكن الخلاف هو فى تفسير Zoroastre هذا ؛ فالستر « Rhys » فى مقدمة الترجمة الانجليزية طبعة (Everymein's Library) يشير الى أنه زرادشت صاحب الديانة الفارسية القديمة ، وهكذا أيضاً تفسره دائرة المعارف الفرنسية « La Grande » ، وأما دائرة المعارف البريطانية فلم أجد بها ما يفسره

على أنه توجد طبعة لترجمة إنجليزية أخرى بدار الكتب المصرية بالقاهرة تفسر هذا الاسم بأنه لأحد آلهة الاغريق القدماء يدعى Zoroaster ؛ ولست أدرى المصدر الذى استقى منه محرر مقدمة هذه الطبعة . على أن هذا الرأى كفيل بأن يسترعى منا كل عناية واعتبار ، لأنه من المعلوم أن نيتشه كان متضلعاً فى الثقافة الاغريقية ؛ ثم إنه مدين للاغريق بكثير من إنتاجه وفلسفته ؛ وتأثره بآلهة الاغريق عميق ولاسيما الآله ديونيزوس Dionysus إله الخمر ، وقد أسهب فى هذه النقطة البروفسور ليشتنبرجر Leachetenberger فى كتابه عن نيتشه المسمى « إنجيل السوبرمان » The Gospel of Superman

فلا نستبعد أن يكون نيتشه قد نسب بطل كتابه إلى هذا الآله الاغريقى القديم اعترافاً منه بفضل الثقافة الاغريقية وتمجيداً لها . وهذا موضوع من الفائدة بمكان لو تبارت فيه عقول المحققين لتجلو غامضه وتظاهر حقيقته ؛ وإنه لخليق بمجلة البحث والفكر « الرسالة » الغراء .

(المنصورة) محمد فهمى

ذلك النضال الهائل الذي غلبت فيه في أدنى الأرض ، وعرض بعدها صورة ثانية لمصر والاسكندرية وبين ما كان فيها من اضطراب وأحزاب الى أن دخلتها جيوش فارس بتدبير بعض الخونة مثل بطرس البحريني المنافق

فصور القصة قد تدخلت فيها صور التاريخ تدخلا عجيبا كان من أثره أن جليت للعصر صفحة واضحة يكاد قارئها يحس أنه يحيا بين أهله ويتنفس في جوهم

ولست بمستطيع في هذه الكلمة الموجزة أن أذكر كل من جلاهم ذلك الكتاب القيم من شخصيات التاريخ ، فانك لا تكاد تجد اسما من الأسماء المعروفة في هذه الفترة لم يبرزه في ناحية منه ويصور له صورة حية ؛ ولكن شخصيتين من هذه الشخصيات كانتا مثالاً عالياً في التصوير الأدبي ؛ ولعل المؤلف النابه قد قصد منهما أن يكونا رمزين للحزبين المتناضلين : حزب الرسول وحزب قريش ، ألا وهما حمزة بن عبد المطلب رمز المسلمين ، والنضر بن الحارث الطبيب رمز المكذبين من قريش . وأما أشخاص غير العرب فقد أبدع في تصوير بعضهم إبداعا عظيما ، ومن هؤلاء بطرس البحريني الذي قيل إنه كان آلة الفرس في فتح الاسكندرية بالخديعة والخيانة

وإذا كان المؤلف الفاضل قد جمع بين القصة والتاريخ هذا الجمع فانه لم يقع في خطأ وقع فيه كثير من القصصيين ، وذلك هو الخلط بين الخيال والحقيقة وما يترتب على ذلك من تشويه لكليهما ، فانه حرص على أن تكون وقائع التاريخ كلها صحيحة ، وبالغ في ذلك فجعل في هامش القصة ذكر بعض المراجع وبعض فقرات الايضاح ، واحتاط عند ذكر ما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فما وقع منه فلا نسبه إليه كما جاء في كتب السيرة ، وأما ما كان فيه مدخل للخيال فقد قال فيه : « وإخاله قد فعل » . فهذا الكتاب حلقة جيدة من سلسلة جيدة ظهرت في الأيام الأخيرة لبعض أعلام الأدب الحديث

وإنا إذا رأينا هذه النهضة المحمودة في إيراد حوادث التاريخ على هذا الأسلوب كان علينا أن نبتهج ونغتبط وأن نشكر هؤلاء الأدباء الأعلام الذين يمدون لجمهور القراء مثل هذا الغذاء العقلي السليم . ولا أظن أن في استطاعة أحد أن يكافئ هؤلاء الأفاضل على ذلك المجهود الكبير ، اللهم إلا أن يكون رضاؤهم عن أنفسهم وشعورهم بأنهم قد أدوا للناس خدمة أدبية تفيد لغتهم الشريفة وتعمل على إعلاء نهضتهم المباركة . « فعلى هامش السيرة »

للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين و (عمد) للأديب الكبير توفيق الحكيم و « باب القمر » للأديب الكبير إبراهيم رمزي ثلاثة أعلام يجدر بالعصر الحديث أن يفاخر بها

ولقد حاولت في قراءتي لهذه القصة التاريخية أن أجد مأخذاً أدخله إلى مقالي حتى لا يكون كله صورة من الأعجاب الذي ملك على نفسي فلم أظفر من ذلك إلا برأي أظنه جديراً بأن يعرض ، وهو أن الاستطراد الكثير في سياق القصة كان كثيراً ما يضيع شيئاً من تماسكها

وأمر آخر لحته في بعض المواضع وهو أن بعض القول كان على غير ما عليه الطبع . ومن ذلك أن سيدة كانت في موقف حزن عميق إذ فقدت زوجها وولدها « فخنقتها العبرات وتحدرت الدموع على خديها متداركة كقطرات السقاء المخاخل ، ولم يستطع ورقة (الذي كان في موقف الصديق) أن يحبس دمعه لدن هذا المنظر المؤلم فبكى لبكائها ثم تمالك نفسه يقول : هوني عليك يا سيدتي . لا تضعفي نفسك بهذا الوجد ، أنت شابة وسرية كما أرى ، وستشرق عليك شمس حياة طيبة جديدة يوم تعودين إلى الأسكندرية ، وسيكون لك أولاد وزوج محبينه . إن الله واسع الرحمة . ما أرجو منك إلا أن تنسي أمور الدنيا أمامك كما تضعين الكتاب ، وتقرئي فستجدين في هذا الكتاب مخطوطاً بقلم عريض كبير : لا تنظري إلى الوراء : أنظري إلى الأمام . إذا ورد عليك فكر مؤلم فرديه بيدك وسيري الى الامام لتباغي ما تعده الدنيا لشبابك وجمالك من النعمة والمتعة التي تنسين بها كل ما مضى الخ » . وإني لأظن أن هذا القول ما كان يلائم أن يقال في مثل هذا الموقف ولا سيما من قائله (ورقة) . على أنني أرى مع ذلك أن مثل هذا النقد ناشئ من اختلاف في النظر والتفكير ، وما ينبغي أن يتفق الناس في مثل هذه الأمور كل الاتفاق

وأما لغة الكتاب فانها اللغة الجديرة بكاتب مجيد كابراهيم رمزي جمع إلى لباقة الفنان متانة الأديب

فرحباً بذلك الفتح الجديد في الأدب العربي . وما أحرانا أن نهنئ الأديب الكبير بنجاحه الباهر في قصته ، وأن نستنجزه الوعد الذي وعد به في آخرها أن يتحفنا بباب الشمس بعد أن أمتعنا بباب القمر .

جاءنا من صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام نقد لكتاب (معجم الأدباء) في طبعته الجديدة ، ومن الأستاذ الشيخ أحمد يوسف نجاتي الأستاذ بدار العلوم رد على نقد كتابه (نفح الطيب) فأرجأناهما مضطرين إلى العدد القادم

فى المسرح المصرى

الفرقة القومية المصرية
وسياسة اعداد المخرجين
لناقد الرسالة الفنى

تحدثنا فى العدد الماضى عن بعثات التمثيل إلى أوربا وانتخاب اللجنة لأربعة من الأعضاء ؛ اثنين من الممثلين واثنين من غيرهم . ونزيد اليوم أن أسماء هؤلاء الأعضاء قد أذيعت ، وقد استولت الدهشة على كل المتصلين بالمسرح والذين يعنون بشؤونه ، لأن اللجنة ترسل واحداً إلى انجلترا لدراسة المناظر المسرحية وتصميمها ، وبقية الأعضاء إلى ألمانيا وفرنسا لدراسة فن الاخراج والتمثيل ولم ترسل أحداً إلى انجلترا فى حين أنها فى مستهل الموسم أذاعت على الممثلين أنها ترى أن ينهجوا على الطريقة الانجليزية فى أداء الأدوار لأنها أجدى على الفن ؛ وهذا اعتراف صريح بما للمسرح الانجليزى من مكانة تفوق مكانة المسارح الأخرى

والثقافة الانجليزية هى الثقافة الغالبة والسائدة الآن ولا سيما بين الشبان منذ أصبحت الانجليزية اللغة الأوربية الأولى فى المدارس المصرية . والأدب المسرحى الانجليزى لا يقوم على العواطف والحب والصلات غير الشريفة كالأدب المسرحى الفرنسى ، بل هو يعالج الشؤون الاجتماعية والدراسات النفسية والآراء الاصلاحية ، ولذلك يحتاج إلى وسائل خاصة فى إخراج رواياته

ولست فى حاجة إلى القول بأن المسرح الانجليزى يقوم على البساطة فى وسائله وطرق إخراجه ، فقد رأينا فيما تعرضه الفرق الانجليزية على مسرح الأوبرا الملكية بالقاهرة شواهد عدة وهو فى هذا عكس المسرح الفرنسى الذى يقوم على الصناعة والمغالاة والتعقيد فى الاخراج . هذا إلى أن الاضاءة المسرحية فى انجلترا قد تقدمت حتى بزت جميع المسارح الأوربية . فأزاء هذا نرى من واجب اللجنة أن تبعث بأحد الممثلين الذين يجيدون الانجليزية إلى لندن ليدرس الفن هناك

وإنما طالبت بأن يكون المبعوث ممثلاً لامتعلماً أيا كان لأن الممثل أقدر من غيره على تفهم وسائل الاخراج والقيام بهذه المهمة فيما بعد ، فان من الصعب على غير الممثل وهو يخرج رواية أن يرشد الممثلين إلى أداء الأدوار أداء صحيحاً أو رد أى ممثل إلى حدوده الشخصية إذا ما خرج أو شذ عنها

ولقد ازددنا دهشة حين لم نجد اسم الممثل الأستاذ أحمد علام بين أعضاء البعثة ، ففى تخطى اللجنة له الى غيره من الممثلين وغير الممثلين قسوة وإنكار لجهوده الطويلة ومواهبه العظيمة ؛ فأعضاء اللجنة المحترمون أكثر من غيرهم معرفة بمكانته الأدبية وثقافته الانجليزية واطلاعه الواسع على فنون المسرح ، ومكتبته عامرة بكتب الفن الانجليزية التى ازدحمت هوامشها بالملاحظات الجديرة بالتقدير ، كما تعلم أن وزارة المعارف قد عهدت اليه بتدريس الفن المسرحى فى مدارسها الأميرية ، فقام بالمهمة خير قيام ، وهو كممثل من أقدر الممثلين ، فأدواره فى رمسيس منذ عام ١٩٢٦ تشهد بنبوغه ، فلا يستطيع إنسان أن ينكر أدواره فى روايات : اللص ، والذئاب ، والاغراء ، وتوسكا ، والشرف ، وغرام الوحش ؛ ولنجاحه المنقطع النظير فى فرقة السيدة فاطمة رشدى فى روايات : الحب المحرم ، والبعث ، ويوسف الصديق ، ومجنون ليلى

ولقد أرسلته وزارة المعارف عام ١٩٣١ فى بعثة صيفية إلى انجلترا ، فمن الواجب أن تعاونه اللجنة على إتمام دراسته ، ولا أظن أن هنالك مجالا للاعتذار لأن فى بقائه تعزيزاً لقوة الفرقة القومية ، فالواقع يؤيد أنها لا تنتفع به كما يجب فهو حتى اليوم لم يظهر على المسرح ولا ينتظر ظهوره حتى الرواية الرابعة ، وعلى اللجنة ألا تنظر إلى المنفعة القريبة بل تنظر للمستقبل ، وتعمل للبناء حتى تمكنها أن تجنى ثمار جهودها الكبيرة

هذه كلمة دفعنا اليها حبنا للمسرح نرجو أن يكون لها أثرها

يوسف